

وابتغوا إلية الوسيلة

الشيخ أحمد سلمان

وابتغوا إلية الوسيلة

تأليف

الشيخ أحمد سلمان





وابتغوا إلية الوسيلة

وابتغوا إلـيـه الـوسـيـلة

تأليف

الشيخ أحمد سلمان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م



تقديم: الشیخ علی آل محسن

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على خير خلقه،
وأفضل بريته، محمد وآل الطيبين الظاهرين، وبعد:

فإن الشیخ أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة (٦٦١-٧٢٨ھ)
أثار مسائل عقدیة كثیرة، صارت في حیاته ومن بعد موته محلاً
للأخذ والرد والجدال المحتدم بين مختلف الطوائف الإسلامية،
وبين أتباعه السلفيين الذين تبناوا آراءه، وبذلوا جهوداً كبيرة في
التأكيد عليها والدفاع عنها.

ومن جملة المسائل التي أثارها ابن تیمیة وأتباعه مسألة
التوسل التي كتب فيها ابن تیمیة كتابه (قاعدة جلیلة في التوسل
والوسيلة)، وضمنه كل آرائه التي من أهمها عدم تجوییزه التوسل
بذات النبي ﷺ، وبغيره من الأنبياء والأئمة ظاهرًا، وقسم فيه
التوسل إلى توسل جائز، وتوسل محروم، وذكر أن من جملة التوسل
الجائزة هو التوسل بدعاء المؤمن كما توسل عمر بن الخطاب بداعي

وابتغوا إليه الوسيلة

العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.

وقد أثارت آراء ابن تيمية في التوسل وغيره حفيظة جملة من علماء عصره وغيرهم، وكان ذلك من أسباب تصديهم للرد عليه، بل التحامل عليه، وقد حذّرهم فيه، الذي تجاوز حدود النقد والتخطئة إلى التبديع، والتضليل، حتى قال تقي الدين السبكي (٦٨٣ - ٧٥٦هـ): أعلم أنه يجوز ويخشن التوسل، والاستغاثة، والتشفع بالنبي ﷺ إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين، ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به في زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية، فتكلّم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يُسبق إليه فيسائر الأمصار.

إلى أن قال: وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل، قول لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مُثلة. (شفاء السقام في زيارة خير الأنام: ٢٩٣).

ومع أن التوسل مسألة فقهية، لا ترتبط بالعقيدة بأي نحو؛ لأنّه داخل في أفعال المكلفين التي هي موضوع علم الفقه، إلا أن ابن تيمية وأتباعه أدرجوا التوسل في باب العقيدة، وحملوه فوق ما يحتمل، فحكموا بأن التوسل بالأموات، والاستشفاع بهم، وطلب الحاجات منهم، شرك أكبر مخرج من ملة الإسلام.

وقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

- وهي أكبر لجنة إفتاء في المملكة العربية السعودية - قول المفتين: الاستعانة بغير الله في شفاء مريض، أو إنزال غيث، أو إطالة عمر، وأمثال هذا مما هو من اختصاص الله تعالى نوع من الشرك الأكبر الذي يخرج من فعله من ملة الإسلام، وكذا الاستعانة بالأموات أو الغائبين عن نظر من استعان بهم من ملائكة أو جن أو إنس في جلب نفع أو دفع ضر نوع من الشرك الأكبر الذي لا يغفر الله إلا من تاب منه؛ لأن هذا النوع من الاستعانة قربة وعبادة، وهي لا تجوز إلا لله خالصة لوجهه الكريم. (فتاوی اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ١٧٢/١).

ولا يخفى ما في هذا الكلام من المجازفة الواضحة؛ لأن كل من يتولّ بنبي أو إمام أو ولی لا يعتقد أنهم أرباب من دون الله تعالى؛ ولا يختلف المسلمون في أن الحاجات كلها بيد الله تعالى، وأنه سبحانه هو الفاعل الحقيقي، وأنه هو المعطي، والرازق الواقعي، والأنبياء والأئمة عليهم السلام والأولياء هم وسائط بين العبد المذنب وبين الله تعالى، فيجوز للعبد الجاني أن يتولّ بهم إلى الله تعالى في قضاء حاجاته التي لم تُقض بالدعاء المجرد، ولا سيما أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقُوًا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، وقال سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغَوْنَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وإذا كانت الوسائل إلى الله تعالى كثيرة، فإن الأنبياء والأئمة والأولياء والصالحين من ضمن تلك الوسائل التي أمر الناس بالأخذ بها.

والذي يظهر أن السبب الأساس لإنكار هؤلاء القوم للتوسل، والتشدد في تحريمه والزجر عنه، وتكفير فاعله، هو أن ابن تيمية وأتباعه السلفيين لما رأوا أن الشيعة دأبوا على التوسل بأئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لكثرة ما تحقق لهم من قضاء حوائجهم كما هو مستفيض عنهم بل متواتر، ورأوا أن التوسل بمن خالف أهل البيت عليهم السلام لا يؤدي إلى أي نتيجة، علموا أن فتح هذا الباب لأتباعهم يستلزم تشكيك الأتباع في إمامية الأئمة الذين يدعون السلفية لإمامتهم، كما أن تحريم ذلك يعطي السلفية مبرراً في رفض المقارنة بين أئمة أهل البيت عليهم السلام وبين غيرهم من هذه الناحية.

وكيف كان فإن الكلام في التوسل طويل متشعب، ولا يسعني في هذه العجالة أن أخوض في عبابه؛ لكثرة مباحثه، وكثرة ما ذكر فيه من التشكيك والتشويش. وقد اطاعت على ما كتبه الباحث المتبع الشيخ أحمد سليمان، فوجده قد استوفى البحث في أهم النقاط التي تمس الحاجة إلى بيانها، فأوضحها بيان حسن، وبأسلوب جميل سلس، فجزاه الله خير الجزاء على ما كتب، ووقفه إلى المزيد من البحوث النافعة، التي يحتاج إليها الناس، وأسأله سبحانه أن يجزل له الثواب، وأن يجعل عمله مقبولاً عند رب الأرباب، ومرضيّاً عند محمد وآلـهـ الأطياب، بمنتهـ وجوـهـ وـكـرـمـهـ، إنـهـ أـكـرـمـ الأـكـرـمـينـ، بـحـقـ مـحـمـدـ وـآلـهـ الطـيـبـيـنـ الطـاهـرـيـنـ.



الحمد لله رب العالمين فاطر السماوات والأرضين، وباري
الخلائق أجمعين، وبه نستعين، وأفضل الصلاة وأزكي التسليم على
سيّد الأنبياء وختام المرسلين، المبعوث المسدّد، المنصور المؤيد،
المصطفى الأمجد، المحمود الأحمد، أبي القاسم محمد، وعلى آله
الطيبين الطاهرين المتجلّين، واللعنة الدائمة على أعدائهم
ومبغضيهم من الآن إلى قيام يوم الدين، وبعد:

فإنّه من نعم الله علينا أنّ منّ علينا بالاسلام محمدي
الأصيل، فجعلنا شيعة لآل المصطفى صلوات الله عليهم أجمعين،
نستقي منهم عقيدتنا، ونقتدى بهم في عباداتنا، فنكون من الناجين
الفائزين يوم الحساب.

وبداعي البعض لأهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم
حاول بعضهم إلصاق كل شنيعة بهم، فكالوا لهم الاتهامات،
ووجهوا لهم الافتراءات، وصاروا ين比ّزن أهل الحق بأسوء
الألقاب، حتى أدرجوا مذهب الشيعة في زمرة المذاهب الخارجـة

وابتغوا إليه الوسيلة ..

والأديان الفاسدة، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

ولعل من جملة التُّهم التي أُلْصقت بالشيعة أن عقيدتهم مشتملة على الشرك، بل حكموا عليهم بأنهم مشركون كما نسمع من الزُّمرة التكفيرية التي لا تتوانى عن تفريق الأمة وتمزيق طوائفها.

فإذا سألنا هؤلاء: ما هو مستندكم لهذا الاتهام؟

قالوا: إنكم أيها الشيعة تدعون علينا من دون الله، وتستغيثون به في النوائب، وتتوسلون بغيره من أهل البيت وغيرهم من الموثقين، وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة عندنا!!

وهذا الكلام لا يكاد يختلف فيه اثنان من السلفية في هذا العصر، فالأمر عندهم مسلم به، فبمجرد أن يروا واحداً عند قبر النبي ﷺ رافعاً يديه، فإنهم يحكمون عليه بالشرك والخروج من الملة، والعياذ بالله!

ولأجل ذلك فإني أقدم للقارئ العزيز في هذا الكتاب دراسة حول التوسل والاستغاثة، مشتملة على مناقشة بموضوعية، من أجل الوصول إلى القول الفصل فيها إن شاء الله تعالى.

تعريف التوسل والوسيلة

قبل الخوض في عباب هذا المبحث لا بد أن نعرّج على تعريف اللغويين للتتوسل والوسيلة، وذلك لأهمية هذا الأمر؛ لأن ضبط المعنى الذي وضع له اللفظ هو أهم مدخل لمعرفة حقيقة الشيء؛ لأنه إذا لم يكن هناك وضوح في المعنى فلافائدة من مواصلة البحث فيه؛ لأننا بذلك لا يزيdenا إلا بعضاً عن الحقيقة.

والوسيلة كما يعرّفها لنا الجوهري في الصاحح: ما يُتقرّب به إلى الغير، والجمع: الوسيل، والوسائل. والتوصيل والتتوسل واحد. يقال: وَسَلَ فلان إلى ربه وسيلة، وتتوسل إليه بوسيلة، أي تقرّب إليه بعمل^(١).

ويقول صاحب تاج العروس: الوسيلة والواسلة: المترفة عند الملك، والدرجة والقربة والوصلة، والجمع: الوسائل، وفي حديث الأذان: «اللهم آتِيَّاً مُحَمَّداً الوسيلة»، قال ابن الأثير: هي في الأصل ما يُتوصل به إلى الشيء ويُتقرّب به، والمراد به في الحديث الْقُرْبُ من الله تعالى... ووصل إلى الله تعالى توسيلاً: عمل عملاً تقرّب به إليه ، كتوسل ، يقال: وسل وسيلة، وتتوسل بوسيلة، وفي الصاحح: التوصيل والتتوسل واحد^(٢).

(١) الصاحح ١٨٤١/٥.

(٢) تاج العروس ١٥/٧٧٤.

وقال الألوسي في تفسيره: هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويُقرَب إلى الله عزَّ وجلَّ من فعل الطاعات وترك المعاichi، من وسل إلى كذا أي تقرَب إليه بشيء^(٣).

وعرف القرطبي الوسيلة في تفسيره بأنها: هي القربة، عن أبي وائل، والحسن، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، والسدي، وابن زيد، وعبد الله بن كثير، وهي فعيلة من توسلت إليه: أي تقرَبت^(٤).

والنتيجة أن التوسل إلى الله تعالى هو التقرَب إليه، فكل ما يُقرَب به إلى الله تعالى يصح أن يقال عنه إنه وسيلة له سبحانه، سواء أكان عملاً صالحاً، أم كان نبياً، أم وليناً إذا كان مقرِّباً إلى الله تعالى.

(٣) روح المعاني ٦/١٢٤.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٦/١٥٩.

التوسل والوسيلة في الإسلام

اتفق المسلمون قاطبة على جواز التوسل، بل على استحبابه، امثالاً لأمره سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَتَائِبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوَاهُ اللَّهُ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَهَدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٣٥]، قوله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّغْوِيْنَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَبْرَاهِيمَ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧].

ولهذا اتفقا على جواز أنواع من التوسل، واختلفوا في أنواع أخرى، هل هي محرمة أم لا؟

والاختلاف الذي حصل بين المسلمين هو في مصداق التوسل وكيفية تطبيقه في الواقع، فقد أجمعوا على جواز التوسل بالأعمال الصالحة، والتوكيل بدعاة الرجل الصالح الحي، وحتى بذاته تعالى وبصفاته، واختلفوا في جواز التوسل بالموتى، وبجاههم، وبحقهم، فمنهم من أجازه، ومنهم من ندب إليه، ومنهم من منعه، وجعله بدعة، بل منهم من كفر من يقوم به^(٥). إذن جواز أصل التوسل لا خلاف فيه بين المسلمين، ولا ينكره إلا جاهل قد أعمى الله بصيرته!!

(٥) سنذكر هذه الأقوال بالتفصيل في باب فتاوى المكررين للتوكيل.

تاريخ الاختلاف

الذي يتتبع سيرة المسلمين، وينظر في كتبهم، يجد أن هذه المسألة لم تطرح في العصور المتقدمة مسألة عقدية، خصوصاً في القرون الثلاثة الأولى المدوحة كما يعتقد إخواننا أهل السنة وبعدها، بل لم نجد من تعرّض لها صراحة وناقشها حتى من جوانبها الفقهية، أو قال بحرمتها أو كراحتها، فضلاً عن أن تكون شركاً أو كفراً كما يدّعى السلفيون، مما يجعلنا نضع نقاط استفهام حول الحاملين لمنهج تكفير وتبديع المؤسّلين، ونقول لهم: من أين لكم هذا؟

والثابت عند الباحثين أن أول من نقل مسألة التوسل من كونها مسألة فقهية إلى المباحث العقدية هو ابن تيمية الحرّاني المتوفى في القرن الثامن الهجري !!

ولذلك قال القاضي السبكي الشافعي: اعلم أنه يجوز ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إلى ربه سبحانه وتعالى، وجواز ذلك وحسنه من الأمور المعلومة لكل ذي دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين، وسيرة السلف الصالحين، والعلماء والعواوم من المسلمين، ولم ينكر ذلك أحد من أهل الأديان، ولا سمع به في زمان من الأزمان، حتى جاء

ابن تيمية، فتكلم في ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يُسبق إليه فيسائر الأعصار، وهذا طعن في الحكاية التي تقدم ذكرها عن مالك، فإن فيها قول مالك للمنصور: «استشفع به»، ونحن قد بَيَّنا صحتها، ولذلك أدخلنا الاستغاثة لما عرض إليها مع الزيارة، وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوكيل قول لم يقله عالم قبله، وصار به بين أهل الإسلام مثلثة، وقد وقفت له على كلام طويل في ذلك، رأيت من الرأي القويم أميل عنه إلى الصراط المستقيم، ولا أتبعه بالنقض والإبطال، فإن دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين تقريب المعنى إلى أفهمهم، وتحقيق مرادهم، وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا الشخص بالضد من ذلك، فالوجه الإضراب عنه^(٦).

ويقول ابن حجر المكي الهيثمي: فما يدل لطلب التوكيل به قبل خلقه وأن ذلك هو سيرة السلف الصالح الأنبياء والأولياء وغيرهم، فقول ابن تيمية ليس له أصل من افترائه..

إلى أن يقول: ولا فرق بين ذكر التوكيل والاستغاثة والتشفّع والتوجّه به بِكَ اللَّهُمَّ أو بغيره من الأنبياء، وكذا الأولياء، وفافقاً للسبكي، فالتوجه والاستغاثة به بِكَ اللَّهُمَّ وبغيره ليس لها معنى في قبول المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بهما أحد منهم سواه، فمن لم يشرح صدره لذلك فليبيك على نفسه، نسأل الله العافية^(٧).

(٦) شفاء السقام: ٢٩٣.

(٧) الجوهر المعلم: ١٥٩.

ولا يخفى على القارئ العزيز أن هذه الشهادات لا يمكن أن تُهمَل، خصوصاً أنها صدرت من فقهاء يُعتد بآرائهم، والأهم من هذا أنهم كانوا معاصرين لابن تيمية تقربياً، فهم على دراية بأسلافهم الذين لم يتعرّضوا لهذا المبحث كما فعل ابن تيمية الذي ثبت أنه أول من ابتدع فيه هذا القول.

ولذلك عندما نرجع إلى ما كتبه ابن تيمية حول التوسل لا نجد له استشهاد بقول عالم سابق، أو رأي أحد أئمة المذاهب الفقهية المشهورة، وإنما اعتمد على فهمه للآيات القرآنية وبعض الآثار النبوية، ليخرج بهذا القول الغريب، فيكون قد طعن في كل سلفه الصالح الذين طالما نادى بالتمسك بفهمهم للتصوّص الشرعي، والرجوع إليهم في معرفة العقائد الحقة!! فإنه إذا كان البحث في الأسماء والصفات فإن أول دليل يطرحه ابن تيمية هو إعراض السلف الصالح عن آيات الصفات، وقبوّلهم معناها الظاهري الحقيقـي، دون تأويل أو تشبيه أو تكييف أو تعطيل.

أما إذا كان الكلام حول التوسل والاستغاثة فإنه يضرب بآراء كل السلف عرض الجدار، ويكون فهم ابن تيمية هو الصائب، مع ما يستلزم ذلك من الحكم على كل المسلمين طيلة ثمانية قرون بالخطأ والضلـال!!

ولو خاطبنا ذوي الألباب السليمة وأصحاب العقول المستقيمة، وسألناهم: هل جهل المفسرون، والمحدثون، وشراح الحديث، والفقهاء، والعلماء، والفضلاء، والعوام، ما انفرد ابن

٢٩ تيمية بمعرفته؟

والجواب الصحيح هو أن ابن تيمية لم يكن أعلم علماء هذه الأمة، ولم يكن يتلقى وحي السماء، كما أنه لم يكن معصوماً عن الخطأ والزلل، فإن حاله حال غيره من سبقوه، ومن المجازفة القول بأن السلف لم يتتبّعوا إلى أمور كثيرة - من ضمنها التوسل بالموتى - تخرج المسلم من الملة، مع أن الناس كانوا يمارسونها بكثرة عند قبور الأنبياء والأولياء.

أما إذا كان السؤال موجّهاً لسلفي أشرب حب ابن تيمية فجوابه: نعم؛ لأن ابن تيمية كما يعتقد السلفيون كان يبصر تنزّل الأمر بين طبقات السماء^(٨)، وكان يعلم ما في اللوح^(٩)، ويعلم ما

(٨) قال أحد بن إبراهيم الواسطي في كتاب التذكرة والاعتبار في حق ابن تيمية: ومثل هذا العارف قد يبصر بصيرته تنزّل الأمر بين طبقات السماء والأرض، فالناس يحسّون بما يجري في عالم الشهادة، وهو لا يتصارّهم شاخصة إلى الغيب، ينظرون ما تجري الأقدار، يشعرون بها أحياناً عند تنزّلها!! (ضمن كتاب العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية: ٢٤٩).

(٩) قال ابن القيم في مدارج السالكين ٢/٤٨٩: ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية عليه السلام أموراً عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، وواقع فراسته تستدعي سفراً ضخماً. أخبر أصحابه بدخول التار الشام سنة تسع وسبعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال، وهذا قبل أن يهم التار بالحركة، ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنين وسبعينة لما تحرك التار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للMuslimين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فيقال له: قل إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحققاً لا تعليقاً. وسمعته يقول ذلك، قال: فلما أكثروا على قلت: لا ←

تحفي الصدور^(١٠)، فحرى بكل سلفي بعد كل هذا أن يزعم أن ابن تيمية يعلم من تفسير القرآن ومن حديث سيد الأنام ما عجز عنه غيره !!

→ تكثروا، كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ.

(١٠) قال عمر البزار البغدادي في كتاب الأعلام العلية ١/٥٦: جرى بيبي وبين بعض الفضلاء منازعة في عدة مسائل، وطال كلامنا فيها، وجعلنا نقطع الكلام في كل مسألة بأن نرجع إلى الشيخ، وما يرجحه من القول فيها، ثم إن الشيخ عليه السلام حضر، فلما همنا بسؤاله عن ذلك سبقنا هو، وشرع يذكر لنا مسألة مسألة كي كنافيه، وجعل يذكر غالب ما أوردناه في كل مسألة.

فتاوي المنكرين للتسلل

أقام أتباع ابن تيمية الدنيا ولم يقدوها حول قضية التوسل، وسُودوا صفحات الكتب بفتاوي التكفير والتفسيق والتبديع، بل وإخراج من يقوم بهذا الفعل من الملة.

فقد ورد في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أن: من كان يصلّي ويصوم، ويأتي بأركان الإسلام، إلا أنه يستغيث بالأموات والغائبين وبالملائكة ونحو ذلك فهو مشرك، وإذا نصّح ولم يقبل، وأصرّ على ذلك حتى مات فهو مشرك شرّاكاً أكبر يخرجه من ملة الإسلام، فلا يُغسل، ولا يُصلّى عليه صلاة الجنازة، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا يُدعى له بالمغفرة، ولا يرثه أولاده ولا أبواه، ولا إخوته الموحّدون ولا نحوهم من هو مسلم؛ لاختلافهم في الدين !!^(١١).

وقال أبو بكر الجزائري: إن دعاء الصالحين والاستغاثة بهم والتسلل بجاههم لم يكن في دين الله تعالى قربة ولا عملاً صالحاً فيتوسل به أبداً، وإنما كان شرّاكاً في عبادة الله محراً، يخرج فاعله من الدين، ويوجب له الخلود في جهنم !!^(١٢).

بل اعتبر صاحب كتاب (كيف نفهم التوحيد) أن الذي

(١١) فتاوى اللجنة الدائمة ١/١٧٢، فتوى رقم ٦٧٩٢.

(١٢) عقيدة المؤمن: ١٤٤ . وأبو بكر الجزائري شيخ الحرم المدني كما يسميه أتباعه.

يتوَسَّلُ ويستغيث بالأنبياء والصالحين هو أسوء حالاً من أبي هب وأبي جهل، وهم أحسن منه إيماناً!!^(١٣).

ولو أردنا جمع ما قيل في هذا الباب ملائنا عشرات الكتب إن لم يكن مئات ب أمثال هذه الفتاوي التكفيرية التي تصدر تباعاً من أناس جعلوا أنفسهم أوصياء على هذا الدين، فآخر جروا منه من شاؤوا، وأدخلوا فيه من أرادوا، وصاروا يوزعون صكوك الجنة والنار علينا!!

(١٣) قال محمد باشميل في كتاب (كيف نفهم التوحيد)، ص ١١: أبو جهل وأبو هب ومن على دينهم من المشركين، كانوا يؤمرون بالله، ويordonونه في الربوبية خالقاً ورازقاً، محبياً ومحيناً، ضاراً ونافعاً، لا يشركون به في ذلك شيئاً! عجيب وغريب أن يكون أبو جهل وأبو هب أكثر توحيداً لله وأخلص إيماناً به، من المسلمين الذين يتسللون بالأولياء والصالحين، ويستشعرون بهم إلى الله تعالى!! أبو جهل وأبو هب أكثر توحيداً وأخلص إيماناً من هؤلاء المسلمين الذين يقولون: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله!؟! ما هذا يا رجل؟! كيف تجزئون على التصریح بمثل هذا الكلام الخطير، الذي هو وأمثاله مما تغالون فيه هو الذي جعلكم أعداء للملايين من المسلمين في العالم؟ فقلت له: ليس هذا عجيباً ولا غريباً، بل هذا هو الواقع الذي سترى وستسلم به إن شاء الله عندما تكشف لك الحقائق جليّة، وتنتصب أمامك الأدلة مشرقة وغربية، وعندها سيزول بإذن الله ما على بذهنك، وستخلص مما رسب في عقلك من رواسب المغالطات التي تغالطون بها أنفسكم، وتغلبونها حجاجاً وبراهين..».

أدلة المنكرين للتسلل

حاول أتباع ابن تيمية حشد أدلة من الكتاب والسنة حول منع التسلل؛ وذلك لإقامة بدعهم، وتقوية رأيهم، واستخدموا فيها مسلك الخوارج، حيث أسقطوا آيات نزلت في الكفار والمرشكين على أهل القبلة، وقادوا الأنبياء وصالحي هذه الأمة على أوثان الأمم السالفة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!

فقد استدلل المنكريون للتسلل بقوله تعالى: ﴿وَعَبَدُوكُمْ
مِّنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَّاتُنَا
عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُنَّ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
شَبَحَنَاهُ وَقَعَلَنَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [يوحنا: ١٨].

قالوا: هذا حالكم أيها المرشكون!!

والجواب: أننا لم نعبد من نتوسل بهم، إنما رجونا بهم التقرب من رب الأرباب كما قررنا في تعريف التسلل، فالاستدلال بهذه الآية باطل؛ لأننا لا نعبدهم من دون الله، وإنما اخذناهم وسيلة إلى الله تعالى لقربهم منه، كما ورد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ
يَنْتَهُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةُ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧]، فمثلما اعتبرتم أعمالكم الصالحة إن كانت كذلك تقربكم، فنحن رأينا أن نبيينا محمدًا ﷺ يقربنا إلى الله عز وجل حيًّا

وميتاً.

واستدل المنكرون أيضاً بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَخْذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ أَمَّا مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِيرٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣].

قالوا: إن توسلاكم بالأولياء عبادة لهم.

والجواب: أن الآية الكريمة أثبتت أنهم يعبدون أصنامهم، وكذبت دعواهم أن الأصنام هي مجرد واسطة بينهم وبين الله تعالى، فدليل الآية ينفي كون أوثانهم وسائل، ويثبت أنها أرباب من دون الله عز وجل. هذا أولاً.

وثانياً: أنه لا يوجد عند السلفيين تعريف مقنع للعبادة، فلو ضبطنا معنى هذا اللفظ لعلمنا أنه لا ينطبق على المسلمين القائلين بالتوكيل، فال العبادة عندهم تعني غاية الخضوع والتذلل، ولو طبقنا هذا المعنى لوجدنا كل المسلمين كفاراً ومشركين؛ لأن الكل يخضع للملك، والسيدي، والشرطي، والوالدين، فهل هؤلاء كلهم كفار؟ وليس كل من عبد الله خضع له غاية الخضوع، فهل المسلم الفاسق الذي لا يطيع الله عز وجل، ولم يخضع لأوامره، ولم ينته عن نواهيه يكون كافراً عندكم؟

ال العبادة هي غاية الخضوع والتذلل المسبق بالاعتقاد القلبي بأن المتذلل له هو إله، فلو سلمنا بهذا التعريف زال الإشكال عن ما سبق.

واستدل المنكرون للتسلل أيضاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْلَى
مِنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِيهِمْ
غَنِيَّلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥].

قالوا: أنتم تدعون أمواتاً، وهم غافلون عنكم بما أعد الله لهم من نعيم وجحيم، ولا يقدرون على جوابكم، فأنتم على ضلال.
والحواب: أولاً: أن هذا الاستدلال خاطئ، فقد أثبتنا أننا لا ندعهم من دون الله، وإنما جعلناهم وسيلة إلى الله عز وجل.

وثانياً: أنه قد ثبت عند الكل أن الميت يسمع، فلا يكون بذلك في غفلة، أما قضية الاستجابة فلا علاقة لها بالبيان والكفر والشرك، فربما يستجيب الواحد منا باخر لكي يساعده على فعل شيء، لكن ذلك الآخر لا يستجيب له، إما لقصوره عن ذلك أو لتفصيره، فهل يكون قد أشرك أو ضل؟ علماً أنه لا فرق في هذا المورد بين الحي والميت؛ لأنكم إذا جعلتم المقياس هو القدرة - طبعاً لا دليل لهم على هذا سوى عقولهم المريضة - فستكونون أول المشركين؛ لأنكم تنفون القدرة على الميت، وتشتبهونها للحي، وهذا عين الشرك؛ إلا إذا قلتم: «إنه قادر بإذن الله، لا بذاته»، عندها نقول لكم: إن الميت الذي تتسلل به أيضاً قادر بإذن الله عز وجل، بل كل شيء في الوجود إذا خرج على هذا الإطار يعتبر شركاً، فأنت إذا اعتقدت أن الشفاء في الدواء لذاته تصبح مشركاً، أما إذا قلت: «إنه فيه الشفاء بإذن الله» فهذا إثبات، وعليه فتحن نقول: إن هذه المقامات المشرفة والمشاهد المعظمة إنما تتسلل

ونتبرك ونستشفى بها وبساكنيها لأننا نعتقد أن الله أودع فيها هذه الخاصية، فلو افترضنا جدلاً أن اعتقدنا كان خاطئاً فلا يكون فعلنا محراً، فضلاً على أن يكون شركاً أو كفراً، غاية ما يقال: إنه فعل عبشي لا طائل منه، وحاله حال رجل اشتري من الصيدلية دواءً ظن أن فيه الشفاء، لكن لم يتحقق مبتغاه، فهل يكون آثماً لأجل ذلك؟

ولا يخفى أن مدار الإيمان والشرك والكفر على الاعتقاد، ومدار الحرج والخلية على النص، فإذا لم يوجد نص يمنع من التوسل فهو جائز؛ لأصالة البراءة في الشبهات التحريرية الإلزامية.

ومن الأدلة التي استدل بها المنكرون للتتوسل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

قالوا: إن هناك فرقاً واضحاً بين الحي والميت، فإن الحي يسمع، والميت لا يسمع، فكيف يصح التوسل بمن لا يسمع؟!

والجواب: أن ما قاله المفسرون لهذه الآية خلاف ما قاله هذا المستدل.

قال ابن كثير: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي يهدىهم إلى سماع الحجة وقبوها والانتقاد لها، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مِّنْ فِي الْقُبُورِ﴾، أي كما لا ينتفع الأموات بعد موتهم وصيروتهم إلى

قبورهم وهم كفار بالهدى والدعوة إليها، كذلك هؤلاء المشركون الذين كتب عليهم الشقاوة، لا حيلة لك فيهم، ولا تستطيع هدايتهم^(١٤).

فالمقصود بهذه الآيات هو سماع الانتفاع بعد الموت للكفار، أي أن الذي مات كافراً لا يستفيد من تلقينه شيئاً، وإنما فقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ كلّم قتلى المشركين في بدر.

فقد روى البخاري بسنده عن ابن عمر قال: وقف النبي ﷺ على قليب بدر، فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ ثم قال: إنهم الآن يسمعون ما أقول. فذكر لعائشة، فقالت: إنها قال النبي ﷺ: إنهم الآن ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق. ثم قرأت: ﴿إِنَّكَ لَا تُشْعِّبُ الْمَوْقَعَ﴾ حتى قرأت الآية^(١٥).

وهناك أحاديث أخرى^(١٦) كلّها تؤكد أن الموتى يسمعون كلام

(١٤) تفسير القرآن العظيم ٥٦٠/٣.

(١٥) صحيح البخاري ٩/٥.

(١٦) الأحاديث في هذا المجال كثيرة، وكلّها تثبت أن الموتى يسمعون. منها: ما أورد ابن كثير في تفسيره ٤٤٧/٣، قال: من أشهر ذلك ما رواه ابن عبد البر مصححاً له عن ابن عباس مرفوعاً: «ما من أحد يمر بغير أخيه المسلم كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام»، ومنها: ما رواه مسلم في صحيحه ١٦٨/٨: «وحدثنا محمد بن منهال الضرير، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن الميت إذا وضع في قبره فإنه ليس بمعن خلق نعاذه إذا انصرفوا». حدثني عمرو بن زرار، أخبرنا عبد الوهاب يعني ابن عطاء، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ قال: ←

الأحياء، حتى إن ابن تيمية وابن القيم اعترفا بذلك، ولم ينكراه^(١٧).

وزعم بعض المنكرين للتوكيل أنه لم يوجد دليلاً واحداً تقوم به الحجة من كتاب الله أو من سنة رسوله ﷺ، أو من سيرة السلف

→ إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه... فذكر بمثل حديث شيبان عن فتادة.

إضافة إلى أنه قد ثبت أن أعمال الناس تُعرض على الأموات، وبالتالي فهم يعرفون كل ما يفعله غيرهم من أقربائهم، فمن باب أولى أن يسمعوا نداءهم، كلامهم لهم، وقد أورد الحكم النيسابوري حديثاً يثبت هذا المعنى في مستدركه ٤/٣٠٧، قال: أخبرنا أبو النضر الفقيه، وإبراهيم بن إساعيل القاري، قال: ثنا عثمان بن سعيد الدارمي، ثنا يحيى بن صالح الوحظي، ثنا أبو إساعيل السكوني، قال: سمعت مالك بن أدي يقول: سمعت النعمان بن بشير رض يقول وهو على الم病: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الذباب تدور في جوها، فالله الله في إخوانكم من أهل القبور، فإن أعمالكم تُعرض عليهم. هنا حديث صحيح الإسناد ولم يخرج له. وغيرها كثيرة.

(١٧) اعترف ابن تيمية بأن الميت يسمع، ولم ينكروه، رغم أنه أول من حل راية محاربة التوكيل والاستغاثة! فقد قال في الفتوى الكبرى ٢٨٩/١: وقد ثبت في الصحيحين أن النبي قال: «لَقُنُوا أَمْوَاتُكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، فتلقين المحتضر سنة مأمور بها، وقد ثبت أن المقبور يُسأل ويُمتحن، وأنه يؤمر بالدعاء له، فلهذا قيل: إن التلقين ينفعه، فإن الميت يسمع النداء كما ثبت في الصحيح عن النبي صل أنه قال: إنه ليس بسمع فرع نعاظم، وأنه قال: «ما أنت بأسمع لما أقول منهم»، وأنه أمرنا بالسلام على الموتى، فقال: ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا، فيسلم عليه، إلا رداً الله روحه حتى يرد عليه.

أما ابن القيم فقد عقد في كتابه (الروح) باباً كاملاً، جمع فيه الأدلة والنصوص التي يستفاد منها سماع الموتى، وأورد فيه عدة أحاديث وروايات تدل على ذلك، وهذا يؤكد أنه يذهب إلى القول بسماع الموتى.

الصالح يدل على مشروعية التسلل.

والجواب: أن المانعين للتسلل والمجوزين له قد اشتركوا في إثبات التسلل عامة من كتاب الله، أما تفاصيله فهو ثابت من سنة النبي المصطفى ﷺ وسيرة المسلمين كافة، وهو ما مستتبته لاحقاً إن شاء الله تعالى.

أدلة المجوزين للتسلّل

ذكرنا فيها سبق الآيات الدالة على التسلّل من كتاب الله، وأثبتنا أنه مبدأ قرآني أجمع عليه المسلمون، وإن كانوا قد اختلفوا في تفصيلاته، ولا سيما التسلّل والاستشفاع والاستغاثة بالأموات، وبيّننا أنه لا يوجد دليل شرعي ولا مانع عقلي يمنع من التسلّل بالأموات، وسنشرع الآن في ذكر الصووص المثبتة لمشروعية التسلّل بالأموات، خصوصاً بالنبي محمد ﷺ.

منها: تسلّل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب: المروي في صحيح البخاري عن أنس أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتسلّل إليك بنبينا رضي الله عنه فتسقينا، وإننا نتسلّل إليك بعم نبينا، فاسقنا^(١٨).

وهذا الحديث يدل صراحة على جواز التسلّل بالذوات، بل يدل على أن الأمر كان معروفاً ومشهوراً بين الصحابة، والحجّة فيه أن هذا الفعل صدر من عمر أمّام جمّع كبير من الصحابة، وهو ما يسمى إجماعاً سكوتياً، خصوصاً أن ما حصل لم يكن مرة واحدة، فإن الظاهر من السياق أن الحادثة تكرّرت كثيراً، حيث قال: «كان إذا قحطوا استسقى بالعباس».

(١٨) صحيح البخاري ٢/١٦.

وقد حاول ابن تيمية ومن انتهجه نهجه تحرير هذا الحديث، وصرفه عن ظاهره من التوسل بذات العباس عليه السلام كما هو واضح من ظاهر الحديث إلى التوسل بدعائه.

قال ابن تيمية: وقول عمر رضي الله عنه: «إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك ببنينا فتسقينا، وإننا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا» معناه نتوسل إليك بدعائه وشفاعته وسؤاله، ونحن نتوسل إليك بدعاء عمّه وسؤاله وشفاعته. ليس المراد به أنا نُقسم عليك به، أو ما يجري هذا المجرى مما يفعله المبتدعون بعد موته وفي مغيبه، كما يقول بعض الناس: «أسألك بجاه فلان عندك»، ويقولون: «إننا نتوسل إلى الله بأنبائه وأوليائه»... فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلونه كما ذكر عمر رضي الله عنه لفعلوا ذلك به بعد موته، ولم يعدلوا عنه إلى العباس، مع علمهم أن السؤال به والإقسام به أعظم من العباس، فعلم أن ذلك التوسل الذي ذكروه هو مما يفعله الأحياء دون الأموات، وهو التوسل بدعائهم وشفاعتهم، فإن الحي يطلب منه ذلك، والميت لا يطلب منه شيء، لا دعاء ولا غيره^(١٩).

ويمكن الرد على ذلك بعدة أمور:

- 1 - أن كلام ابن تيمية عدول عن النص الصحيح الواضح بدون أي قرينة تدل على أن توسل عمر بالعباس كان بدعائه لا بذاته، ولا يجوز العدول عن ظاهر النص إلا بقرينة صحيحة. وما زعمه ابن تيمية من أن التوسل لو كان بالذوات لما عدل

(١٩) افتضاء الصراط المستقيم: ٤١٥.

عمر عن التسلل بالنبي ﷺ الذي هو أقرب إلى الله تعالى زلفى إلى التسلل بالعباس غير صحيح؛ لأن الأفعال مجملة لا لسان لها، ونحن لا نعلم بما قصده عمر من اختيار التسلل بالعباس بخصوصه، ولا سيما أن في أهل البيت من هم أفضل من العباس بالاتفاق، كأمير المؤمنين والحسن والحسين ع، فلعل عمر كان ي يريد الإشادة بالعباس لما رأى انصراف الناس عن تبجيله وتعظيمه؛ لأنه كان من مسلمة الفتح، وكان من أسرى بدر.

ثم إن العقل يحکم بأن إثبات شيءٍ لشيء لا ينفيه عما سواه، فتوسل عمر يثبت جواز التسلل بالعباس، لكنه لا ينفي جواز التسلل بغيره من الناس أحياء أو أمواتاً، فتنبه.

٢ - أني بعد التتبع والبحث لم أجد روایة صحيحة ورد فيها أن عمر توسل بدعاء العباس عم النبي ﷺ، وهم اعتمدوا في كلامهم هذا على روایة أوردها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: قد بیئن الزبیر بن بکار فی الأنساب صفة ما دعا به العباس فی هذا الواقعه، والوقت الذي وقع فیه ذلك، فآخرج بإسناد له أن العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إلهي لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يُكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بی إلیك؛ لکانی من نبیک، وهذه أیدینا إلیك بالذنوب، ونواصینا إلیك بالتوبه، فاسقنا الغیث. فأرخت السماء مثل الجبال، حتى أخضبت الأرض، وعاش الناس^(٢٠).

(٢٠) فتح الباري ٤١٣ / ٢.

ويرد على هذا الاستدلال:

أولاً: أن الظاهر من كلام عمر أنه توسل بذات العباس حين قال: «إِنَّا نَتُوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعِمَّ نَبِيِّنَا فَاسْقُنَا...»، فما جاء بعد هذا فهو منفصل عما سبق، لأن يقول القائل: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِنَبِيِّكَ وَبِأَسْمَائِكَ الْحَسَنَى»، فإن هذا القول يحمل في طياته توسلًا بذات النبي، وتوسلًا بأسماء الله الحسنة، فيكون على رأي السلفية قد جمع في نفس الوقت بين توسل مشروع، وتوسل آخر غير مشروع، على أن الصحابة فهموا من كلام عمر أنه توسل بذات العباس، لا بدعائه كما زعمه ابن تيمية والألباني، فقد نقل ابن الأثير في أسد الغابة أبياتاً لحسان بن ثابت، قالها بهذه المناسبة، وهي قوله:

سَأَلَ الْإِمَامُ وَقَدْ تَبَاعَ جَدُّنَا فَسَقَى الْغَمَامُ بَغْرَةَ الْعَبَّاسِ
عُمّْ النَّبِيِّ وَصَنَوْ وَالِدَهُ الَّذِي وَرِثَ النَّبِيَّ بِذَاكَ دُونَ النَّاسِ
أَحْيَا إِلَهُ بِهِ الْبَلَادَ فَأَصْبَحَتْ مُخْضَرَةَ الْأَجْنَابِ بَعْدَ الْيَاسِ^(٢١)

كما نقل الذهبي في سير أعلام النبلاء أبياتاً للصحابي العباس بن عتبة، قال فيها:

يَعْمَّي سَقَى اللَّهُ الْحَجَازَ وَأَهْلَهُ عَشِيَّةَ يَسْتَسْقِي بِشَيْبِيهِ عُمَرَ
تَوَجَّهَ بِالْعَبَّاسِ فِي الْجَذِّ راغِبًا إِلَيْهِ فَمَا إِنَّ رَامَ حَتَّى أَتَى الْمَطَرَ
وَمَنَا رَسُولُ اللَّهِ فِينَا تَرَاهُ فَهَلْ فَوْقَ هَذَا لِلْمَفَاخِرِ مُفْتَخِرٌ^(٢٢)

فنحن نلزم ابن تيمية وأتباعه بفعل الصحابة، وبفهمهم

(٢١) أسد الغابة ٣/١١١.

(٢٢) سير أعلام النبلاء ٢/٩٤.

للحادثة، ونترك التأويلات الباردة، ومحاولة الهروب من ظاهر الحديث الذي عمد إليه ابن تيمية ومن قلده في هذه المسألة.

وثانياً: أن كلام العباس الذي استشهدوا به يؤكّد أن عمر قد توسل بذاته، فقد قال العباس: «وقد توجّه القوم بي إليك لمكاني من نبيّك...»، وهو كلام واضح في أن القوم توجّهوا بذات العباس كما قال هو بنفسه، مع أنه لم ينكر عليه أحد هذا الفهم، حتى عمر نفسه، الذي سمع منه هذا الكلام وقت الاستسقاء.

ثالثاً: العجيب أن القوم تمسّكوا بهذا الخبر المرسل الذي تجنبوا التعليق على سنته، وتركوا الخبر المسند الذي يليه في نفس الصفحة، وهو ما رواه ابن حجر بسنده عن زيد بن أسلم عن ابن عمر، قال: استسقى عمر بن الخطاب عام الرماداة بالعباس بن عبد المطلب... فذكر الحديث، وفيه: فخطب الناسَ عمر، فقال: إن رسول الله ﷺ كان يرى للعباس ما يرى الولد للوالد، فاقتدوا أياها الناس برسول الله ﷺ في عمّه العباس، واتخذوه وسيلة إلى الله.

وفيه: فما برحوا حتى سقاهم الله..

وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أن القوم عندهم إصرار مسبق على تحريم التسلل، فحاولوا حشد ما يستطيعون من كلمات ادعوا أنها تدل على رأيهم في التسلل، حتى لو لم تكن أدلة صحيحة بنظرهم، فاستدلّ لهم تبريري بحث.

وأخيراً نشير إلى ما ذكره الشيخ محمد صالح العثيمين في مجموع فتاواه حيث قال: كما أني أيضاً أقول: إن هذا جائز،

ولكنني لا أحبّه، وأرى أن الإنسان يسأل الله تعالى بنفسه دون أن يجعل له واسطة بينه وبين الله، وأن ذلك أقوى في الرجاء، وأقرب إلى الخشية!!^(٢٣).

وبعبارة أخرى فإن ابن عثيمين يرى أنه أعلم بالتوحيد من عمر بن الخطاب، وأن ما فعله عمر بن الخطاب يتنافى مع قوة الرجاء، والخشية من الله تعالى رغم أنه يعترف أن فعل جائز!!

ومنها: حديث الأعمى: المروي عن عثمان بن حنيف رض:
أن رجلاً ضريراً أتى النبي صل، فقال: ادع الله تعالى أن يعافيني.
قال: إن شئت أخرت ذلك، وإن شئت دعوت. قال: فادعه! قال:
فأمره أن يتوضأ، فيحسن الوضوء، ويصلِّي ركعتين، ويدعو بهذا
الدعاء: اللهم أسألك وأتوجّه إليك بنيّك محمد صل نبي الرحمة، يا
محمد إني أتوجّه بك إلى ربِّك في حاجتي هذه فتقضيها لي، اللهم
شفعه فيَّ، وشفعني فيه.

وهذا الحديث ورد في جملة من الكتب المعتمدة عند إخواننا
أهل السنة، وقد صحّحه جمِع من حفاظهم، فقد أورده الطبراني في
معجم الصغير، وقال: والحديث صحيح^(٢٤).

وقال الحاكم في مستدركه: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم
يخرجاه^(٢٥). ووافقه الذهبي على تصحيحه، وقال: على شرط

(٢٣) مجموع فتاوى الشيخ محمد صالح العثيمين ٢ / ٢٧٧.

(٢٤) المعجم الصغير للطبراني ١ / ٣٠٦.

(٢٥) المستدرك ١ / ٧٠٠.

البخاري^(٢٦).

كما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، وقال عقبه: ورويناه في
كتاب الدعوات بإسناد صحيح^(٢٧).

وصحّحه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على مسند أحمد، قال:
هذا حديث صحيح، ورجاله ثقات^(٢٨)، وغيرهم.

وهذا الحديث دال على مشروعية الأنواع الثلاثة من التسلل،
وهي: التسلل بدعاء الرجل الصالح، والتسلل بالعمل الصالح،
والتوسل بالغائب، كما أنه دال على مشروعية نداء النبي ﷺ، والتوجّه
إلى الله تعالى بالنبي محمد ﷺ.

والرواية أوضحت أن الرجل الكفيف دعا بهذا الدعاء في
غياب النبي ﷺ، بقرينة رواية المستدرك التي جاء فيها: قال عثمان:
فوا الله ما تفرقنا ولا طال بنا الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم
يكن به ضر قط..

وهذا ما يجعل توسل هذا الكفيف من نمط توسلنا في هذه
الأزمان، وهو التسلل الذي ينكره السلفية، فالأخumi عندما قال:
«اللهم إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة» يظهر أنه
كان في مكان آخر، وقوله: «يا محمد إنيأتوجّه بك إلى ربّي» نداء
لغائب، وهو ما يعتبر شركاً عند القوم!!

(٢٦) تلخيص المستدرك ١/٧٠٠.

(٢٧) دلائل النبوة للبيهقي ٦/٣٥٢.

(٢٨) مسند أحمد بن حنبل ٤/١٣٨.

وقد حاول ابن تيمية التلاعب بدلالة هذا الحديث الشريف، فقال: السؤال به، فهذا يجوزه طائفة من الناس، لكن ما روي عن النبي ﷺ في ذلك كله ضعيف بل موضوع، وليس عنه حديث ثابت قد يظن أن لهم فيه حجة، إلا حديث الأعمى لا حجة لهم، فإنه صريح في أنه إنما توسل بدعاء النبي ﷺ وشفاعته، وهو طلب من النبي ﷺ الدعاء، وقد أمره النبي أن يقول: «اللهم شفعه فيّ»، وهذا رد الله عليه بصره لما دعا له النبي ﷺ، وكان ذلك مما يعد من آيات النبي ﷺ، ولو توسل غيره من العميان الذين لم يدع لهم النبي ﷺ بالسؤال به لم تكن حافهم حاله.

وهذا الذي قاله ابن تيمية من التلبيس الفاضح، فالنبي إنما علّم الأعمى دعاء، ولم يدع له، ونص الحديث واضح، وكما ذكرنا سابقاً، فإن الأعمى ذهب، ثم رجع وقد أبصر بعد أن أدى ما كلفه به النبي ﷺ من الغسل والدعاء، ولا يوجد في متن الرواية ما يدل على أن النبي ﷺ دعا له.

ولو افترضنا أن شفاء الأعمى كان بسبب دعاء النبي ﷺ، فهذا لا يمتنع بعد وفاته صلوات رب وسلامه عليه وعلى آله؛ لأنَّه ﷺ يرد سلام المسلم عليه^(٢٩)، وأعمالنا تُعرض عليه، فيدعونا كما

(٢٩) قد ثبت عند المسلمين أنَّ الرسول ﷺ يرد السلام، ويكتفينا في إثبات ذلك صيغة التسليم في صلاتنا، التي تشمل السلام على الحبيب المصطفى صلوات ربِّه عليه وآله، فإنَّ كان لا يسمع ولا يرد فإنَّ تسلينا عليه في الصلاة لغو، وهو قبيح، ثم إنَّه وردت أحاديث وروايات تؤيد هذا المعنى، منها ما رواه أحمد بن حنبل في مستنده ٥٢٧ / ٢ بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ما

صحَّ ذلك عنه ﷺ^(٣٠)، ولو لا ذلك لكان تسليمنا عليه في الصلاة وغيرها لغواً وعبثاً، مع أن المسلمين كافة أجمعوا على أن يقولوا في تشهدُهم: السلام عليك أبا النبي ورحمة الله وبركاته!!

وأخيراً أورد حفاظاً أهل السنة والجماعة هذا الحديث في كتب الأدعية والأذكار، فقد أخرجه الطبراني في كتاب الدعاء، وابن السنّي في عمل اليوم والليلة، والنمسائي في كتابه (عمل اليوم والليلة)، وهو ما يدل على أنهم فهموا منه نفس هذا المعنى الذي فهمناه من أن الدعاء بهذا اللفظ جائز مطلقاً، في حياته ﷺ وبعد مماته، وهو مما يُعبد به في كل زمان ومكان، حاله كحال غيره من الأدعية.

ومنها: قصة دفن فاطمة بنت أسد رض: المروية عن أنس بن مالك، قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم أم علي ، دخل عليها رسول الله ﷺ، فجلس عند رأسها، فقال: رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعين، وتعرين وتكسونني،

→ من أحد يسلم على إلا رد الله عز وجل على روحه حتى أرد عليه. صححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٦/٣٥٣، وقال: رواه ثقات. كما صححه التوروي في رياض الصالحين، ص ٥٥٦، قال: رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٣٠) حديث عرض الأعمال رواه البزار في مسنده، وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٢٤، قال: رجاله رجال الصحيح. وقال عنه الحافظ العراقي في طرح الترتيب ٣/٢٩٧: إسناده جيد. وصححه السيوطي أيضاً في كتاب الخصائص ٢/٢٨١، وفي تحرير أحاديث الشفاء، ص ٣١، وقد ألف الحافظ عبد الله بن الصديق الغماري الحسني كتاباً جديراً بالطالعة أسماه (نهاية الآمال في شرح وتصحيح حديث عرض الأعمال)، أثبتت فيه صحة هذا الحديث، وردد فيه على الذين طعنوا في هذا الحديث لكونه مخالفًا لأهوائهم.

وتمعنين نفسك طيب الطعام وتطعميني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة. ثم أمر أن تغسل ثلثاً وثلاثة، فلما بلغ الماء الذي فيه الكافور، سكبها عليها رسول الله ﷺ بيده، ثم خلع رسول الله ﷺ قميصه فألبسها إياه، وكفت فوقه، ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة بن زيد، وأبا أيوب الأننصاري، وعمر بن الخطاب، وغلاماً أسود يخروا، فحفروا قبرها، فلما بلغوا اللحد حفره رسول الله ﷺ بيده، وأخرج ترابه بيده. فلما فرغ، دخل رسول الله ﷺ، فاضطجع فيه، وقال: الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولبنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين. ثم كبر عليها أربعاً، ثم أدخلوها القبر، هو والعباس، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. لم يرو هذا الحديث عن عاصم الأحول إلا سفيان الثوري، تفرد به روح بن صلاح.

وهذا الحديث أخرجه الطبراني في معجميه الكبير^(٣١)، والأوسط^(٣٢).

قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه روح بن صلاح، وثقة ابن حبان، والحاكم، وفيه ضعف، وبقية رجال الصحيح^(٣٣).

أقول: روح بن صلاح كما ذكر الهيثمي وثقة الحاكم

(٣١) المعجم الكبير ٢٤ / ٣٥١.

(٣٢) المعجم الأوسط ١ / ٦١.

(٣٣) مجمع الزوائد ٩ / ٢٥٦.

النيسابوري، وذكره ابن حبان في الثقات^(٣٤)، إضافة إلى أن يعقوب بن سفيان الفسوبي قد روى عنه، وهو من مشائخه^(٣٥)، ومن المعلوم أن الفسوبي قد وثق جميع مشائخه، فإنه قال كما في تهذيب التهذيب: كتبت عن ألف شيخ وكسر، كلهم ثقات^(٣٦).

أما ما قاله الهيثمي بأن الرجل فيه ضعف فقد بحثنا عن جرح مفسّر لروح بن صلاح لكن لم نجده إلا مبهماً، فقد قال عنه الدارقطني: «ضعيف»، ووافقه ابن ماكولا، وابن عدي^(٣٧)، ولم يذكروا سبب جرحه، فلا يعتد بقولهم؛ لأن علماء الحديث قد قرروا أن الجرح لا يُقبل إلا مفسراً^(٣٨)، وبالتالي فروح بن صلاح ثقة،

(٣٤) كتاب الثقات لابن حبان ٢٤٤/٨.

(٣٥) روى عنه في كتابه المعرفة والتاريخ ٤٠٦/٣.

(٣٦) تهذيب التهذيب ١١/٣٧٨.

(٣٧) ضعف الدارقطني روح بن صلاح، ووافقه ابن عدي في الكامل ١٤٦/٣، قال: وأظن أنه مصرى ضعيف.

قلت: ترك الغلن لابن عدي، ومثله ابن ماكولا، أما الذهبي فذكره في تاريخ الإسلام ١٦١/١٧، ولم يذكر إلا أقوال موثيقه، مما يوحى أنه يرجع كفة توثيقه، وكذلك صنع في ميزان الاعتدال ٥٨/٢، إلا أنه ذكر أيضاً تضييف ابن عدي، وقد أثبتنا أنه مجرد ظن مشتمل على جرح منهم لا يضر بالرجل.

(٣٨) اشترط العلماء أن يذكر الجراح سبب جرحه للشخص، أما التعديل فلا يشترط ذكر السبب، أما الأول فليبيان حقيقة الأمر؛ لأن كثيراً من الطعنون يدافعون تحاسد الأقران، أو خلاف شخصي بينهما؛ بسبب من الأسباب الدنيوية، أو لقد طافهي أو ما شابه ذلك، ويؤيد ما قلناه كلام الخطيب البغدادي في الكفاية، ص ١٠٨، حيث قال: إن البخاري قد احتاج بجماعة سبق من غيره الطعن فيهم والجرح، لهم كعكرمة مولى ابن عباس، وإسماعيل بن أبي أرطى، ←

وال الحديث حسن على أقل التقادير، فلا عبرة بمن ضعفه خصوصاً حافظ عصرهم الألباني^(٣٩) المتناقض المتبَع لهواء.

→ وعاصر بن علي، وعمرو بن مرزوق، وهكذا فعل مسلم بن الحجاج، فإنه احتاج بسويد بن سعيد وجماعة غيره اشتهر عمن ينظر في حال الرواية الطعن عليهم، وسلك أبو داود السجستاني هذه الطريق وغير واحد من بعده، فدل ذلك على أنهم ذهبوا إلى أن الجرح لا يثبت إلا إذا فسر سببه، وذكر موجبه. وقال أحمد بن حنبل كما في التهذيب ٢٩٦/٧: كل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح أحد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يتحمل غير جرمه. وقال ابن دقيق العيد في الاقتراح، ص ٢٩٦: فإن كان المجروح موافقاً من جهة أخرى فلا تحفن بالجرح المبهم من خالقه، وإن كان غير موثق فلا تحكمن بجرمه ولا تعديه. وهذا ينطبق كله على حال روح بن صلاح، فهو من الذين وثقهم الأعلام كابن حبان والحاكم، ولم نجد في مقابل هذا التعديل جرحاً مفسراً، وعليه فلا بد من الحكم برأ ثاقته، وصححة حديثه.

(٣٩) ضعف الألباني هذا الحديث في السلسلة الضعيفة ١/٣٢، وادعى وجود جرح مفسر في روح بن صلاح !! بناءً على قول ابن عدي في الكامل: في بعض حديثه نكارة، وقول ابن يونس: رویت عنه مناكير.

قلت: كلام الألباني غير صحيح؛ لأن ابن عدي عندما وصف روح بن صلاح بهذا الوصف لم يسوق له أي حديث منكر، بل بالعكس، فإنه يرجأ ما تسبّ إليه، فقد ذكر حديثين منكريين، ثم قال ١٤٦/٣: وهذا الحديثان بإسناديهما ليسا بمحفوظين، ولعل البلاء فيه من عيسى هنا، فإنه ليس بمعرفة !

ومن عادة ابن عدي كما قال الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح، ص ٤٢٩: وقال ابن عدي في الكامل، ومن عادته فيه أن يخرج الأحاديث التي أنكرت على الثقة، أو على غير الثقة.

مضافاً إلى أن قوله: لا يروي مناكيراً لا يعتبر جرحاً في الراوي كما قال ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ٢/٣٠٨: ولو كان كل من روی شيئاً منكراً استحق أن يذكر في الضعفاء لما سلم من المحدثين أحد لا سيما المكثر منهم.

والعجب أنهم يقبلون تضعيفاته عندما توافق أهواءهم، ولكن لما تصل النوبة إلى تضعيفه لأحاديث في الصحيحين فلأنهم لا يقبلون ذلك منه!

إذن هذا الحديث حسن، وهو مما يستدل به المسلمون على جواز التوسل بالنبي ﷺ وبالأنبياء السابقين عليه، كما أنه يقطع دابر كل من يقول: إن الجائز من التوسل ما كان بالحجي فقط، وأما التوسل بالآيت فلا، وهذا الحديث حجة عليهم، لأن النبي ﷺ توسل بمن سبقة من الأنبياء عليه.

ومنها: حديث دعاء الذهاب للصلاة: عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: إذا خرج الرجل من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق مشايك، فإني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا رباءً، ولا سمعةً، خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، أسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنبي، إنه لا يغفر الذنب إلا أنت، وَكَلَّ الله عزّ وجلّ به سبعين ألف ملك يستغفرون له، وأقبل الله تعالى عليه بوجهه حتى يقضي صلاته.

هذا الحديث أخرجه ابن ماجة في سننه^(٤٠)، وأحمد في مستنده^(٤١)، والطبراني في كتاب الدعاء^(٤٢)، وابن أبي شيبة في

(٤٠) سنن ابن ماجه ١/١٥٦.

(٤١) مستند أحمد بن حنبل ٣/٢١.

(٤٢) كتاب الدعاء: ١٤٩.

مصنفه^(٤٣)، وغيرهم كثير.

وقد حَسَنَه جمع من الحفاظ، نذكر منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني في أمالِي الأذكار^(٤٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب^(٤٥)، والحافظ العراقي كما في تحرير أحاديث الإحياء^(٤٦)، والحافظ البوصيري في مصباح الزجاجة^(٤٧)، وغيرهم.

أما الشيخ الألباني فقد حاول بشتى الطرق تضليل هذا الحديث وتهينه، والتمس له العلل، إلا أن كلامه لا يعتد به في مقابل تحسين الحفاظ الفطاحل جهابذة هذا الفن.

ودلالة هذا الحديث واضحة وضوح الشمس، فإن رسول الله ﷺ حدث الناس على التوسل بحق السائلين، وهذا اللفظ شامل للأحياء والأموات، كما أنه يشمل الحاضرين والغائبين، وبالتالي يسقط التفريق الذي ابتدعه اتباع ابن تيمية للتتوسل، بين التوسل بالحي الحاضر، والتتوسل بالغائب أو بالميت.

ومنها: استغاثة نبِي الله عيسى بن مرِيم عليهما السلام: عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفس أبي القاسم بيده لينزلن عيسى بن مرِيم إماماً مقسطاً، وحكماً عدلاً، فليكسرنَ الصليب، ولويقتلنَ الخنزير، ول يصلحنَ ذات البين، ول يذهبنَ

(٤٣) المصنف لابن أبي شيبة ٢٩/٧.

(٤٤) أمالِي الأذكار ١/٢٧٢.

(٤٥) الترغيب والترهيب ٣/٢٧٣.

(٤٦) تحرير إحياء علوم الدين ١/٢٩١.

(٤٧) مصباح الزجاجة ١/٩٩.

الشحنة، وليعرضنَّ عليه المال فلا يقبله، ثم لئن قام على قبرِي
فقال: «يا محمد» لأجبته.

وهذا الحديث أخرجه أبو يعلى في مسنده^(٤٨)، وصحّحه جملة
من الحفاظ، منهم: الهيثمي، قال: قلت: هو في الصحيح بإختصار،
رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح^(٤٩)، ووافقه الألباني في
تصحّيحه كما في السلسلة الصحيحة، فإنه قال: قلت: وهذا إسناد
جيء، رجاله كلام ثقات، رجال الشيفين، غير أبي صخر، وهو
حميد بن زياد الخراط، فهو من رجال مسلم وحده، وقد تكلّم فيه
بعضهم، وصحّح له ابن حبان، والحاكم، والبوصيري، ومشاه
المذري^(٥٠).

كما أخرج الحكم النيسابوري حديثاً مشابهاً له في مستدركه،
يمكن أن يعتبر شاهداً قوياً على صحة هذا الخبر، بسنده عن عطاء مولى
أم حبيبة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: ليهبطنَّ
عيسى بن مریم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، وليس لكنَّ فجأ حاجاً أو
معتمراً أو بنتهما، ول يأتين قبرِي حتى يسلُّمْ علَيَّ، ولا أرْدَنَّ عليه.

قال الحكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه
السياقة. وافقه الذهبي^(٥١).

أما دلالة الحديث فواضحة على جواز نداء النبي ﷺ

(٤٨) مسندي أبي يعلى ٤٦٢/١١.

(٤٩) جمع الروايات ٨/٢١١.

(٥٠) سلسلة الأحاديث الصحيحة ٦/٥٢٤.

(٥١) المستدرك ٢/٥٩٥.

والاستغاثة به، وهو ما يمنعه أتباع ابن تيمية في هذا العصر، ويعتبرونه شرّاً عندهم، فهنيئاً لهم تكفير نبي الله عيسى سلام الله عليه، ثم أن الحديث يدل على أن الحبيب المصطفى ﷺ يسمع الأصوات بعد موته، خصوصاً من يتوجه إليه، بل ويرد على من يناديه.

أما من قال: «إن هذا من مختصات نبي الله عيسى صلوات الله عليه» فقوله محترق؛ لأنه قد تقرر في الأصول أن العبرة بعموم المعنى، وليس بخصوص اللفظ، فلذلك نقول: إن رسول الله ﷺ عَلِمَ أُمَّةَهُ التوسل والاستغاثة به.

ومنها: رواية مالك الدار: وكان خازن عمر بن الخطاب على الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام، فقيل له: أنت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا ألو إلا ما عجزت عنه.

وهذه الرواية من أشهر الروايات الواردة في التوسل، فقد أخرجها ابن أبي شيبة في مصنفه^(٥٢)، وابن حجر العسقلاني في الإصابة^(٥٣)، وابن عبد البر في الاستيعاب^(٥٤)، والبيهقي في دلائل النبوة^(٥٥)، وغيرهم.

(٥٢) المصنف لابن أبي شيبة ١٢/٣١.

(٥٣) الإصابة في معرفة الصحابة ٣/٤٨٣.

(٥٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٤٦٣.

(٥٥) دلائل النبوة ٧/٤٧.

وصححها جع من كبار علماء المسلمين، منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري، حيث قال: وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السهان عن مالك الدار، وكان خازن عمر، قال: أصحاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استنسق لأمتك، فإنهم قد هلكوا، فأتى الرجل في المنام، فقيل له: أنت عمر، فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مسقيون، وقل له: عليك الكيس، عليك الكيس، فأتى عمر فأخبره، فبكى عمر، ثم قال: يا رب لا ألو إلا ما عجزت عنه^(٥٦).

وألفت النظر إلى أن ابن كثير - تلميذ ابن تيمية الحرّاني - أورد هذه الرواية في كتابه، وصححها^(٥٧)، وهذا يقطع شغب كل من أراد الطعن في سندها!

وقد حاول بعضهم تضليل هذه الرواية كعادتهم، وكأنهم أخذوا عهداً على أنفسهم أن يطمسوا كل كرامة لنبيّنا محمد ﷺ، وأن يجحدوا كل معجزة له، فأعلّوا هذا الحديث بعده أمور، نذكر منها:

(٥٦) فتح الباري ٢/٤٩٥.

(٥٧) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٩٠: وقال الحافظ أبو بكر البهقي: أخبرنا أبو نصر بن فتادة ... عن مالك، قال: أصحاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استنسق الله لأمتك، فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام، فقال: أنت عمر، فأقرئه مني السلام، وأخبره أنهم مسكون، وقل له: عليك بالكيس الكيس. فأتى الرجل فأخبر عمر، فقال: يا رب ما آلوا إلا ما عجزت عنه. وهذا إسناد صحيح.

..... وابتغوا إليه الوسيلة

١ - تدليس الأعمش: فإنه من المعلوم أن الأعمش مدلّس، فلا يُقبل منه إلا ما صرّح بساعده، وهذه الرواية معنونة، لم يصرّح فيها بالسماع، وعليه فهي رواية ساقطة مردودة.

والجواب: أن الذهبي أجاب على هذا الإشكال، فقال في ميزانه: متى قال - الأعمش -: «عن» تطّرق إليه احتمال التدليس، إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وابن أبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روایته عن هذا الصنف محمولة على الاتصال...^(٥٨).

قلت: هذه الرواية رواها الأعمش عن أبي صالح السمان، فتكون محمولة على السمع، فلا إشكال فيها^(٥٩).

٢ - جهالة مالك الدار: قال بعضهم: إن مالك الدار مجہول، ولا يصح أن نأخذ دين الله من المجاهيل.

والجواب: أنه يكفي مالك الدار توثيقاً وتعديلاً أن عمر بن الخطاب استأنمه على بيت مال المسلمين! فأي شهادة بالعدالة أعظم من هذه؟!

ثم إنه قد ترجم له الحافظ ابن حجر في الإصابة في معرفة

(٥٨) ميزان الاعتلال ٢٢٤/٢.

(٥٩) لو أن القوم طبقوا هنا المنهج على كل كتبهم، يعني ردوا كل رواية لم يصرّح فيها الأعمش بالسماع لنفسها قدرأً كبيراً من أحاديث الصحيحين؛ وذلك لأن سليمان بن مهران من الذين أكثرروا الرواية عنه في مسلم والبخاري، لكن اتباع الهوى يمنعهم من ذلك في صحاحهم، في حين أن هذه الرواية لأنها تخالف هواهم ومشربهم حاولوا الطعن فيها بشتى العرقل؛ ليلبسوا على الناس، ويحولوا بينهم وبين اتباع الحق.

الصحابة، فقال: مالك بن عياض، مولى عمر، هو الذي يقال له مالك الدار، له إدراك، وسمع من أبي بكر الصديق، وروى عن الشيفيين، ومعاذ، وأبي عبيدة، روى عنه أبو صالح السهان، وابناء عون وعبد الله ابنا مالك، وأخرج البخاري في التاريخ من طريق أبي صالح ذكوان عن مالك الدار أن عمر قال في قحوط المطر: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه. وأخرجه ابن أبي خيثمة من هذا الوجه مطولاً، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك. فأتاه النبي ﷺ في المنام، فقال له: أنت عمر، فقل له: إنكم مستسقون، فعليك الكفين. قال: فبكى عمر، وقال: يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه ...

ورويانا في فوائد داود بن عمرو الضبي جمع البغوي من طريق عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع المخزومي عن مالك الدار، قال: دعاني عمر بن الخطاب يوماً، فإذا عنده صرة من ذهب، فيها أربعيناتة دينار، فقال: اذهب بهذه إلى أبي عبيدة، فذكر قصته، وذكر ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين في أهل المدينة، قال: روى عن أبي بكر: وعمر: وكان معروفاً، وقال أبو عبيدة: ولاه عمر كيلة عيال عمر، فلما قدم عثمان ولاه القسم، فسمى مالك الدار، وقال إسماعيل القاضي عن علي بن المديني: كان مالك الدار خازناً لعمر^(٦٠).

كما ترجم له ابن حبان في الثقات، فقال: مالك بن عياض الدار، يروي عن عمر بن الخطاب، روى عنه أبو صالح السهان، وكان مولى لعمر بن الخطاب، أصله من جبلان مالك بن صحار الهمداني، يروي عن حذيفة، وابن عباس روى عنه الشعبي^(٦١).

كما ترجم له البخاري، فقال: مالك بن عياض الدار، أن عمر قال في قحط: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه. قاله علي، عن محمد بن خازمي، عن أبي صالح، عن مالك الدار^(٦٢).

وعليه، فإن الرجل تابعي ثقة كما مر آنفاً، والأثر صحيح لا غبار عليه، وهو يدل على أن التوسل بالنبي ﷺ كان متعارفاً بين الصحابة، وهذا لم ينكر أحد على ذلك الرجل توسله برسول الله ﷺ بعد موته، بل إن عمر تأثر بكلامه، وعمل به كما دل عليه هذا الأثر، وروايات آخر^(٦٣).

(٦١) الثقات ٥/٣٨٤.

(٦٢) التاريخ الكبير ٧/٣٠٤.

(٦٣) مثل ما أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٧/٩٣، حيث قال: و قال سيف بن عمر، عن سهل بن يوسف السلمي، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال: كان عام الرمادة في آخر سنة سبع عشرة، وأول سنة ثانية عشرة، أصحاب أهل المدينة وما حولها جوع، فهلك كثير من الناس، حتى جعلت الوحش تأوي إلى الإنسان، فكان الناس بذلك وعمر كالمحصور عن أهل الأمصار، حتى أقبل بلال بن الحارث المزني، فاستأذن على عمر، فقال: أنا رسول الله إليك، يقول لك رسول الله ﷺ: لقد عهدتك كيساً، وما زلت على ذلك، فما شئت؟ قال: متى رأيت هذا؟ قال: البارحة. فخرج فنادي في الناس: الصلاة جامعة، فصل لهم ركعتين، ثم قام فقال: أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون مني ←

والتيجة أن التسلل والاستغاثة والطلب من رسول الله ﷺ سُنَّة نبوية، سار عليها الصحابة والسلف الصالح، ولم ينكرها إلا ابن تيمية في القرن الثامن.

ومنها: أثر الكوى: عن أبي الجوزاء أوس بن عبد الله، قال: قحط أهل المدينة قحطًا شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: انظروا قبر النبي ﷺ، فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف. قال: ففعلوا، فمطرنا مطرًا، حتى نبت العشب، وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم، فُسُمِّي عام الفتقة.

أخرج هذا الأثر الدارمي في مقدمة سنته تحت عنوان: باب ما أكرم الله به نبيه ﷺ بعد موته^(٦٤).

والظاهر أن هذا العنوان يدل على أن الدارمي كان يعتقد بمضمون ما يورده من روايات، وإنما لو كان هدفه مجرد النقل لقال: باب ما روي بصيغة التمريض، ولم يعتبرها كرامة.

وكالعادة حاول السلفيون وعلى رأسهم الألباني إسقاط هذا الأثر، لكنهم لم يوقفوا في ذلك!

ومن نظر في كلامهم يجد أنهم أعلىوه بعدة علل ستناقشها

→ أمراً غيره خير منه؟ فقالوا: اللهم لا، فقال: إن بلال بن الحارث يزعم ذبة وذية. قالوا: صدق بلال، فاستغث بالله، ثم بال المسلمين. فبعث إليهم - وكان عمر عن ذلك محصوراً - فقال عمر: الله أكبر، بلغ البلاء مدته فانكشف ...
٦٤) سنن الدارمي ١ / ٤٤.

تبعاً، منها:

١ - اختلاط عارم: وعارض هو محمد بن فضل السدوسي، وهو ثقة ثبت كما قال الحافظ في التقرير^(٦٥)، بل عدوه من الأئمة كما قال السيوطي في طبقات الحفاظ^(٦٦)، كما أنه من رجال الصحيحين، له ستة أحاديث في مسلم، وحديث واحد في البخاري، أما اختلاطه فهو أمر مشهور لا يكاد يختلف فيه اثنان، لكن المهم هل هذا الحديث حديث قبل اختلاطه أم بعده؟

الجواب نجده عند الذهبي في سير أعلام النبلاء حيث قال رداً على أصحاب هذا الادعاء: لقد فرج الدارقطني في شأن عارم، فقال: تغيير بأخره، وما ظهر بعد اختلاطه حديث منكر، وهو ثقة، فانظر قول أمير المؤمنين في الحديث أبي الحسن الذي لم يأت بعد النسائي مثله، فأين هذا من قول ذلك الخساف المتصافق أبي حاتم بن حبان في عارم^(٦٧).

وقال ابن حجر: قرأت بخط الذهبي: لم يقدر ابن حبان أن يسوق حديثاً منكراً، والقول فيه ما قاله الدارقطني^(٦٨).

فعلى من يزعم خلاف ما قاله الدارقطني أن يأتي بحديث واحد منكر لعارم، ثم إنما لو وافقناهم جدلاً في قولهم فيما إذا يحكمون على أحاديث عارم في الصحيحين؟

(٦٥) تقرير التهذيب: ٥٠٢، (ت ٦٢٢٦).

(٦٦) طبقات الحفاظ ١٧٤/١.

(٦٧) سير أعلام النبلاء ٢٦٨/١٠.

(٦٨) تهذيب التهذيب ٣٥٩/٩.

إن هذا شيء عجائب !!

٢- ضعف سعيد بن زيد: أعلوا هذا الخبر بطبعون وردت في
المذكور عن يحيى بن سعيد^(٦٩).

فنقول ردًا على هؤلاء: إن الذهبي قد ذكر سعيد بن زيد في
من يُكلّم فيه وهو موثق^(٧٠)، وقد وثق هذا الراوي جملة من أئمة
الجرح والتعديل، منهم الإمام أحمد بن حنبل، قال: ليس به بأس،
وقال يحيى بن معين: ثقة، ووثقه ابن سعد، والعجلي، وسليمان بن
حرب، والدارمي، وابن عدي، وابن حبان^(٧١)، والأهم من كل
هذا أن الرجل من رجال الصحيحين !

قال الحافظ في مقدمة الفتح: سعيد بن زيد بن درهم، أخو
حامد بن زيد، له موضع واحد في الطهارة، وقال أحمد وغيره: لا
بأس به. وقال النسائي: ليس بالقوي^(٧٢).

وقال الذهبي في الكاشف: روى له البخاري معلقاً،
ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن ماجة، أبو الحسن أخو حامد،

(٦٩) كان يحيى بن سعيد سبع الرأي في سعيد بن زيد، فقد كان لا يستمر عليه كما نقل ذلك ابن حجر في تهذيب التهذيب ٤/٢٩، ولا ندرى ما سبب سوء رأيه في سعيد بن زيد، خصوصاً أن اللفظ ليس من الألفاظ الدالة على الجرح المفسر، وإنما الأمر أقرب إلى خلاف شخصي، وكما قررنا فيها سابقاً أن الجرح لا يقبل إلا مفسراً. وعليه، فإن هذا الكلام يُرد على صاحبه، ولا يعتد به.

(٧٠) تهذيب التهذيب ٤/٢٩.

(٧١) نفس المصدر.

(٧٢) مقدمة فتح الباري: ٤٥٧.

عن عبد العزيز بن صهيب، وابن جدعان، وعنه عارم، ومسلم،
قال جماعة: ليس بالقوي، ووثقه ابن معين^(٧٣).

وخلاصة الكلام أن سعيد بن زيد ثقة، من رجال
الصحيحين، لم يرد فيه جرح مفسّر، ولو ضعفنا كل روایة ورد
فيها رأي ضعيف فلن تسلم أي روایة في كتب أهل السنة والجماعة،
كما اعترف بذلك البدر الزركشي في نكته على مقدمة ابن
الصلاح^(٧٤).

ولأجل أنه لا يوجد عندهم أحد عند التحقيق سالمًا من
الطعون، أوجدوا قواعد للخروج من هذا المأزق، فلم يقدّموا
الجرح على التعديل مطلقاً، وفي هذا الصدد يقول السبكي: فإنك
إذا سمعت أن الجرح مقدم على التعديل، ورأيت الجرح والتعديل،
وكنت غرّا بالأمور، أو فدماً مقتضاً على منقول الأصول، حسبت
أن العمل على جرحة، فإذاك ثم إياك، والخذل كل الخذل من هذا
الحسبان، بل الصواب عندنا أن من ثبتت إمامته وعدالته، وكثير
مادحوه ومنكوه، ونذر جارحة، وكانت هناك قرينة دالة على سبب
جرحة، من تعصّب مذهبي أو غيره، فإننا لا نلتفت إلى الجرح فيه،
ونعمل فيه بالعدالة، وإنما فلو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم
الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة، إذ ما من إمام إلا

(٧٣) الكافش ١/٣١٤.

(٧٤) قال البدر الزركشي في النكت على مقدمة ابن الصلاح، ص ٢٥٧: ولو ذهب
العلماء إلى ترك كل من تكلم فيه لم يبق بأيدي أهل هذا الشأن من الحديث إلا
اليسير، بل لم يبق شيء، ومن الذي ينجو من الناس سالمًا.

وقد طعن فيه طاعون، وهلك فيه هالكون^(٧٥).

٣- حال عمرو بن مالك النكري: اعتبره البعض مجاهول، وحاول آخرون تضليله بناءً على تعصّبهم لا غير، وإنما فإن الرجل ثقة، ترجم له ابن حبان في الثقات، فقال: عمرو بن مالك النكري، كنيته أبو مالك، من أهل البصرة، يروي عن أبي الجوزاء، روى عنه حماد بن زيد، وجعفر بن سليمان، وابنه يحيى بن عمرو، ويعتبر حديثه من غير رواية ابنه عنه، مات سنة تسع وعشرين ومائة^(٧٦).

بل ترجم له في كتابه مشاهير علماء الأنصار!! وفيه دلالة على أنه يرى الرجل من العلماء المعروفين، وليس كما يدّعى أتباع ابن تيمية أنه مجاهول ضعيف.

قال ابن حبان: عمرو بن مالك النكري أبو مالك، والد يحيى بن عمرو، وقعت المناكير في حديثه من رواية ابنه عنه، وهو في نفسه صدوق اللهجة، مات سنة تسع وعشرين ومائة^(٧٧).

وكذلك الذهبي الذي يعتبر متشدداً في الجرح والتعديل قد وثقه أيضاً في كتابه الكاشف، فقال: عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، وغيره، وعن ابنه يحيى، وعبد بن عباد، وجماعة، وُثِّقَ، مات سنة ١٢٩^(٧٨).

(٧٥) طبقات الشافعية الكبرى ٢/٩.

(٧٦) الثقات ٧/٢٢٨.

(٧٧) مشاهير علماء الأنصار: ٢٢٤.

(٧٨) الكاشف ٢/٣٢٩.

وبالتالي فالرجل ثقة لا مطعن فيه، أما العجيب في الموضوع فنجد أن الألباني قد أسقط الرواية لضعف عمرو بن مالك النكري، إلا أنه رجع فصحح رواية في سندها نفس هذا الراوي، بل وثقه!

قال في السلسلة الضعيفة ردًا على تحسين الحافظ المنذري والهيثمي لرواية الرجل: وفيما قالاه نظر، فإن عمراً هذا لم يوثقه غير ابن حبان، وهو متساهل في التوثيق، حتى إنه ليوثق المجهولين عند الأئمة النقاد^(٧٩).

ثم قال في سلسلته الصحيحة: آخر جه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢٧١٢): حدثنا نوح بن قيس، قال: حدثني عمرو بن مالك النكري، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، قال: ... قلت: وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رجال مسلم، غير عمرو بن مالك النكري، وهو ثقة، كما قال الذهبي في (الميزان)، ذكره فيه تمييزاً، ووَثَقَهُ أَيْضًا مِنْ صَحَّحَ حَدِيثَهُ هَذَا مِنْ يَأْتِي ذَكْرَهُمْ^(٨٠).

فيما للعجب من الشيخ الألباني كيف ينافق نفسه، ويثبت أن مقاييسه في تصحيح الحديث وتضعيفه هو مجرد الهوى!^(٨١).

(٧٩) السلسلة الضعيفة ١/١٣١.

(٨٠) السلسلة الصحيحة ٥/٦٠٨.

(٨١) من هنا التناقض العجيب نفهم كيف يتعامل هؤلاء مع النصوص الشرعية، وتطبيقاتهم لعلم الحديث عندهم، حيث إن الأمر هو مجرد اتباع الأهواء، فالصحيح هو ما وافق هواهم، وما خدم مصالحهم، والضعف هو ما خالف ما اعتقدوا، وما احتاج به خالفوهم من المسلمين، والشيخ الألباني كثيراً ما يقع ←

٤ - سماع أبي الجوزاء من عائشة: فقد حاول البعض نفي سماع أبي الجوزاء من عائشة، وعليه فالرواية تكون مرسلة، لا يصح أن يحتاج بها.

وللجواب عن ذلك نقول: اقرؤوا صحيح مسلم لتجدوا أن مسلماً روى في صحيحه روايات عديدة عن أبي الجوزاء عن عائشة. قال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو خالد يعني الأحمر، عن حسين المعلم، قال: ح وحدثنا إسحق بن إبراهيم واللفظ له، قال: أخبرنا عيسى بن يونس، حدثنا حسين المعلم، عن بديل بن ميسرة، عن أبي الجوزاء، عن عائشة قالت: كان رسول الله صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستفتح الصلاة بالتكبير القراءة، وكان

→ في ذلك، حيث تجده ينافق نفسه في نفس الكتاب، لا يفصل قوله الأول عن الثاني إلا وريقات.

وقد اهتم السيد حسن السقاف بتتبع زلات الألباني وتناقضاته، فصنف كتاباً من ثلاثة أجزاء، أسماء (تناقضات الألباني الواضحات)، جمع فيه كل ما وجده من تناقضاته، وكم أتمنى أن يقوم بعض الباحثين بتأليف كتاب يتبع فيه تناقضات ابن تيمية أيضاً، ومخالفاته في تضييف الأحاديث الحسنة أو الصحيحة، لمجرد أنها تخالف عقيدته، فإن ابن تيمية ليس أفضل حالاً من الألباني، فإنه ينافق نفسه في بعض الأحيان في نفس الصفحة !!

نرجو من كل المسلمين الذين يقلدون هولاء في تضييف الأحاديث وتصحيحها، أن يتبعوا إلى كل ما يصدر منهم، وألا يسلموا لهم عندما يقولون: (هذا حديث ضعيف وهذا موضوع)، فإنهم يرددون الأحاديث التي لا يرتفعون معناتها، متعللين بضعف أسانيدها! ولذلك ضعفوا كثيراً مما ورد في فضائل أهل البيت، ويعودوا ما ورد في الصحيحين منها، وبالغة في الرد على الشيعة.

إذا رکع لم يشخص رأسه، ولم يصوبه، ولكن بين ذلك، وكان إذا رفع رأسه من الرکوع لم يسجد حتى يستوي قائماً، وكان إذا رفع رأسه من السجدة لم يسجد حتى يستوي جالساً، وكان يقول في كل رکعتين: التحية، وكان يفرش رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى، وكان ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع، وكان يختتم الصلاة بالتسليم^(٨٢).

٥ - أما العلة الأخيرة وهي قاصمة الظهر فقولهم: إن الأثر موقف على عائشة، وليس فيه من أوامر النبي ﷺ، ولا من توجيهاته شيء، فلا يكون حجة علينا!

والجواب: أنه يلزم هؤلاء أن يقولوا: إن عائشة كانت لا تميّز بين ما هو شرك وما ليس بشرك، وأنها حثت الناس على أن يفعلوا فعلًا شركياً، وأن الأفعال الشركية ربما تنفع الناس أحياناً، كما انتفع الناس بفتح الكوى على قبر رسول الله ﷺ، حيث سقوا بعد طول القحط والجدب !!

ثم يلزم هؤلاء أن يدعوا أنهم أعلم بكتاب الله عزّ وجلّ من عائشة، التي يرون أن كثيراً من الصحابة كانوا يرجعون إليها في الفتيا، حتى ألف الزركشي كتاباً حول استدراكات عائشة على الصحابة!

وهذا الأثر فيه دلالة واضحة على جواز التوسل بالنبي ﷺ والتوسل بقبره الشريف، كما أنه يدل على أنه لا فرق بين حياته

ومماته؛ لأن آثاره وكراماته باقية، وما اختصه الله به باق إلى قيام الساعة.

ومنها: أثر ابن عمر: عن عبد الرحمن بن سعد: خدرت رجل ابن عمر، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك، فقال: «يا محمد»، فكانا نشط من عقال.

وهذا الخبر أخرجه البخاري في كتابه الأدب المفرد: (٢٦١)، وابن السنّي في عمل اليوم والليلة: (٥٥)، وفيه استغاث عبد الله بن عمر برسول الله عليه السلام طلباً لإزالة الخدر عن رجله، وقد تحقق له ذلك.

وقد أورد المخالفون عدة اعترافات على هذا الخبر، لاسقاطه عن الاعتبار، وإبطال الاحتجاج به عليهم، منها:

١ - **عنون السبيعي**: إذ أن أبي إسحاق السبيعي مدلّس، لا تقبل عامة روایاته إلا ما صرّح فيها بالسماع، وهذه الرواية معنعة، فلا بد من ردّها.

والجواب على ذلك: أن من جملة الذين رووا هذا الخبر عن أبي إسحاق هو شعبة كما في كتاب غريب الحديث^(٨٣)، ومن المعلوم عند أهل الصنعة أن ما رواه شعبة عن أبي إسحاق محمول على السَّماع؛ لأن شعبة قال: كفيتكم تدليس ثلاثة: الأعمش، وأبي إسحاق، وفتادة^(٨٤). وعليه، فتدليس السبيعي في هذا المورد لا

(٨٣) غريب الحديث (ج ٧٥٦).

(٨٤) تعريف أهل التقديس: ٥٩.

يعتبر علة قادحة في الرواية.

٢ - اختلاط السبعي: فإن أبا إسحاق مختلط، والمختلط لا تقبل روايته إذا لم نحرز صدورها منه قبل اختلاطه.

والجواب: أن راوي الخبر عن السبعي كما في لفظ الأدب المفرد^(٨٥) هو الثوري، وقد قال الحافظ ابن حجر: والثوري وهو أثبت الناس فيه^(٨٦).

وعليه، فرواية الثوري عنه تعتبر في عداد ما رواه السبعي قبل اختلاطه، فيسقط هذا الإيراد عن الاعتبار.

٣ - جهالة عبد الرحمن بن سعد: قال بعضهم: «إنه مجهول»، وجهالة أحد الرواية تجعل الرواية ضعيفة السنداً.

والجواب: أن الرجل قد ترجم له في أكثر من كتاب، بل وثقة البعض، ولم يرد فيه أي طعن!

فقد قال البخاري في تاريخه: عبد الرحمن بن سعد مولى لابن عمر القرشي، وكان يكُون بالكوفة، سمع ابن عمر رض، روى عنه منصور^(٨٧).

وقال ابن حجر: عبد الرحمن بن سعد القرشي مولى ابن عمر، كوفي، وثقة النسائي، من الثالثة^(٨٨).

(٨٥) الأدب المفرد: ٣٣٥.

(٨٦) تهذيب التهذيب ٨/٥٧.

(٨٧) التاريخ الكبير ٥/٢٨٧.

(٨٨) تقرير التهذيب ١/٥٧١.

وذكره ابن حبان في ثقاته، وقال: عبد الرحمن بن سعد مولى لآل عمر، يروى عن ابن عمر أن النبي ﷺ على بعيره في السفر، روى عنه منصور بن المعتمر السلمي^(٨٩).

إذن فالرجل ثقة، لا إشكال في وثاقته على مباني القوم، وهو صالح الرواية، وعليه، فإن هذا الأثر ثابت، لا يصح إنكاره، وهو دليل صحيح صريح على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته اقتداءً بابن عمر.

ولعل علماء أهل السنة يوافقون على هذا الفهم، ولهذا نقلوا هذا الأثر في كتب الأذكار والأدعية والأعمال^(٩٠)، ومنهم ابن تيمية الحراني الذي أورده في كتابه (الكلم الطيب)!

ومن المفارقات العجيبة أن الألباني في تحقيقه كتاب الكلم الطيب اعرض على ابن تيمية في إيراده للأثر المذكور، مدعياً أن هذا الخبر ظاهره مناف للتوحيد الذي حل المؤلف رايته، وإن شكك البعض في نسبة هذا الكتاب لابن تيمية لاشتماله على مثل هذه الأخبار!^(٩١).

وبالتالي فهو يعلم أن معنى نداء ابن عمر للنبي ﷺ هو

.٩٣ / ٥ (٨٩) الثقات

(٩٠) ذكره ابن القيم في الوابل الصيب، والنوري في الأذكار، وابن السندي في أعمال اليوم في الليلة، والشوكاني في تحفة الذاكرين، والحافظ السخاري في القول البديع، وغيرهم.

(٩١) الكلم الطيب لابن تيمية بتحقيق الألباني: ٥٥

استغاثة به، وهو ما يعتبرونه اليوم شركاً، فإننا لله وإننا إليه راجعون،
فلم يسلم من تكفيرهم حتى ابن عمر بن الخطاب بعد أن بدأه ابن
تيمية!^(٩٢).

(٩٢) قال ابن تيمية في اختفاء الضراء المستقيم، ص ٣٨٩: فأما قصد الصلاة في تلك البقاع التي صل فيها اتفاقاً فهذا لم ينقل عن غير ابن عمر من الصحابة...
إلى أن قال: وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين، بل هو مما ابتدع،
وقول الصحابي وفعله إذا خالقه نظيره ليس بحجج، فكيف إذا انفرد به عن
جاهير الصحابة. وأيضاً فإن تحري الصلاة فيها ذريعة إلى اتخاذها مساجد،
والتشبه بأهل الكتاب، مما نبينا عن التشبه بهم فيه، وذلك ذريعة إلى الشرك
بالله!!

سيرة السلف

ذكرنا في ما مر النصوص الشرعية من الأحاديث النبوية الشريفة ومن سيرة الصحابة، التي تدل على جواز التوسل والاستغاثة، ولا سيما بسيّد الخلق محمد ﷺ.

ولعل الشيء الذي ينبغي أن نشير إليه أيضاً هو سيرة السلف الصالح، والشهرة العملية بين أصحاب المذاهب الإسلامية المعروفة، ولا سيما إذا كان الكلام يدور حول أئمة هذه المذاهب وكبار العلماء فيها.

المذهب المالكي:

أجمع فقهاء المذهب المالكي كلهم بلا استثناء على جواز التوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ وبغيره من الصالحين، وهذه أقوالهم نضعها بين أيديكم:

ونبدأ بإمام المذهب ومؤسسه: مالك بن أنس، وهو أشهر من أن يعرف، فقد نقل عنه القاضي عياض في الشفا مناظرة جرت بينه وبين الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور حول التوسل، فقال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً، فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ الْنَّبِيِّ﴾

الآية [الحجرات: ٢]، ومدح قوماً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْصُمُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ الآية [الحجرات: ٣]، وذم قوماً، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادِيُونَكَ﴾ [الحجرات: ٤] الآية، وإن حرمته ميتاً كحرمتها حيّاً. فاستكان لها أبو جعفر، وقال: يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعوه، أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليهما السلام إلى الله تعالى يوم القيمة؟ بل استقبله، واستشفع به، فيشفعه الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ الآية [النساء: ٦٤]^(٩٣).

وهذه القصة صحّحها كثير من العلماء الحفاظ، منهم: السبكي في (شفاء السقام)، حيث قال: وقد ذكر القاضي عياض بإسنادها، وهو إسناد جيد^(٩٤).

والزرقاني في (شرح المواهب اللدنية)، قال: ورواه ابن فهد بإسناد جيد، ورواهما القاضي عياض في الشفاء بإسناد صحيح، رجاله ثقات، ليس في إسنادها وضاع ولا كذاب^(٩٥).

وصحّحها كذلك أحمد زيني دحلان، قال: ذكره القاضي عياض في الشفاء، وساقه بإسناد صحيح^(٩٦).

أما بخصوص انكار ابن تيمية لهذه القصة فقد كفانا مؤونة

(٩٣) الشفاعة ٤١.

(٩٤) شفاء السقام: ٢٨٤.

(٩٥) شرح المواهب اللدنية ٣/٤١٠.

(٩٦) الدرر السنّية: ١٠.

الرد عليه ابن حجر الهيثمي المكي في (الجوهر المنظم)، حيث قال: وانكار ابن تيمية لهذه الحكاية عن مالك حتى لا يرد عليه إنكاره التوسل والتشفع من خرافاته وتهوراته، كيف وقد جاءت عنه بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه^(٩٧).

وقال ابن الحاج المالكي في كتابه (المدخل): وأما عظيم جناب الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فيأتي إليهم الزائر، ويتعين عليه قصدهم من الأماكن البعيدة، فإذا جاء إليهم فليتصف بالذل، والانكسار، والمسكنة، والفقر، والفاقة، وال حاجة، والاضطرار، والخضوع، ويخضر قلبه وخارطه إليهم، وإلى مشاهدتهم بعين قلبه، لا بعين بصره؛ لأنهم لا يرون، ولا يتغيرون، ثم يشئ على الله تعالى بما هو أهله، ثم يصلى عليهم، ويترضى عن أصحابهم، ثم يترحم على التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، ثم يتتوسل إلى الله تعالى بهم في قضاء مآربه، ومغفرة ذنبه، ويستغث بهم، ويطلب حواججه منهم، ويجزم بالإجابة ببركتهم، ويقوّي حسن ظنه في ذلك، فإنهم بباب الله المفتوح، وجرت سنته سبحانه وتعالى في قضاء الحاجات على أيديهم وبسببيهم، ومن عجز عن الوصول إليهم فليرسل بالسلام عليهم، وذكر ما يحتاج إليه من حواججه، ومغفرة ذنبه، وستر عيوبه، إلى غير ذلك، فإنهم السادة الكرام، والكرام لا يرددون من سألهم، ولا من توسل بهم، ولا من قصدهم، ولا من لجأ إليهم، هذا الكلام في زيارة الأنبياء،

. (٩٧) الجوهر المنظم: ١٤٩.

والمرسلين عليهم الصلاة والسلام عموماً^(٩٨).

وكلامه واضح في جواز التوسل، والاستغاثة، والتبرك
بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء عليهما السلام.

أما الإمام الصاوي الذي كان معاصرأ لقيام دعوة محمد بن عبد الوهاب فيقول: وما يتأكد عند دخول المدينة المشرفة: الغسل، والتطهير، وتجديد التوبه، وحين يدخل المسجد الشريف يأتي الروضة، فيصلّي بها ركعتين تحية المسجد، ثم يأتي قبلة القبر الشريف، ويقول: السلام عليك يا سيدِي يا رسول الله، السلام عليك يا سيدِي يا حبيب الله، السلام عليك يا سيدِي يا أشرف رسل الله، السلام عليك يا إمام المتقين، السلام عليك يا رحمة للعالمين،أشهد أنك رسول الله، بلغت الرسالة، وأدَّيت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغمة، وجليت الظلمة، ونطقت بالحكمة، صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك أجمعين.

ثم يتتوسل به في جميع مطلوباته، ثم يتقل قبالة قبر أبي بكر، ويقول: السلام عليك يا خليفة رسول الله، السلام عليك يا صديق رسول الله،أشهد أنك جاهدت في الله حق جهاده، جزاك الله عن أمة محمد خيراً، رضي الله عنك وأرضاك، وجعل الجنة متقبلك ومثواك، ورضي الله عن كل الصحابة أجمعين. ثم يتتوسل به إلى رسول الله...^(٩٩).

(٩٨) المدخل ٢٥٧/١.

(٩٩) حاشية الصاوي على الشرح الصغير ٤٤٦/٣.

وصنف الفقيه المالكي محمد بن موسى بن النعمان الشيخ أبو عبد الله المزالي التلمساني، الذي وصفه الصفدي في كتاب الوافي بالوفيات بالزاهد العابد العارف^(١٠٠)، كتاباً أسماءه: مصباح الظلام في المستغيثين بخیر الأنام!

فهل يصح أن يقال لهذا الفقيه: إنه كافر، مشرك، بل هو أسوأ حالاً من أبي جهل وأبي هب؟!

وكيف كان فإن فقهاء المالكية عملوا بهذه الفتوى، ولهذا تراهم يبدأون كتبهم بالدعاء والتسلّل بالنبي ﷺ، ولا بأس أن نأخذ لذلك مثالين:

١ - قال الإمام المفسّر الفقيه المالكي القرطبي في كتابه التذكرة: قال الحسن: أول من يفر يوم القيمة من أبيه إبراهيم، وأول من يفر من ابنه نوح... قال القرطبي: فيرون أن هذه الآية نزلت فيهم، وهذا فرار التبرّي، نجانا الله من أهوال هذا اليوم بحق محمد نبي الرحمة، وصحابه الكرام البررة، وجعلنا من حشر في زمرةهم، ولا خالف بنا على طريقهم ومذهبهم، بمنه وكرمه، آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآلـه وصحابـه^(١٠١).

٢ - توسل الزرقاني شارح الموطأ في كتابه، فقال: يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، وأسألك من فضلك متوكلاً إليك بأشرف رسلك، أن تجعله سبباً للفوز

(١٠٠) الوافي بالوفيات ٨٩/٥.

(١٠١) التذكرة: ٢٦٨.

برضاك ولقائك ولقاء حبيبك محمد صلى الله عليه [وآله]
 وسلم^(١٠٢).

وغيرهما من علماء المذهب المالكي كثير وكثير من أفتوا
 بجواز التوسل والاستغاثة مطلقاً، فهل يرى أتباع ابن تيمية أن
 الإمام مالك بن أنس وأتباعه كفار مشركون؟

المذهب الشافعي:

لعل أتباع المذهب الشافعي من أكثر الناس الذين اشتهروا
 بقبولهم للتتوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ والصالحين؛ وذلك لأن
 أكثر الشافعية يتعمون إلى الطرق الصوفية الذين يلقبهم أتباع ابن
 تيمية بالقبورية والمبتدعة!

وسأذكر للقارئ العزيز أقوال نخبة من علماء الشافعية حول
 التوسل، منهم:

١ - محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي، المعروف
 بالشافعي الصغير، فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في
 الفتاوى كما في كتاب الأعلام^(١٠٣): سُئل عما يقع من العامة من
 قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان، يا رسول الله، ونحو ذلك
 من الاستغاثة بالأنباء والمرسلين، والأولياء، والعلماء،
 والصالحين، فهل ذلك جائز أم لا؟ وهل للرسل، والأنبياء،
 والأولياء، والصالحين، والمشايخ، إغاثة بعد موتهم؟ وماذا يرجح

.(١٠٢) شرح الموطأ ٤/٥٦٢.

.(١٠٣) الأعلام ٦/٧.

ذلك؟

فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء، والمرسلين، والأولياء، والعلماء، والصالحين، جائزة، وللرسل، والأنبياء، والأولياء، والصالحين، إغاثة بعد موتهم؛ لأن معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء لا تنتهي بموتهم، أما الأنبياء فلأنهم أحياء في قبورهم، يصلون، ويحجّون، كما وردت به الأخبار، وتكون الإغاثة منهم معجزة لهم، وأما الأولياء فهي كرامة لهم، فإن أهل الحق على أنه يقع من الأولياء بقصد وبغير قصد أمور خارقة للعادة، يجريها الله تعالى بسببيهم^(١٠٤).

- محبي الدين النووي شارح صحيح مسلم: قال: ثم يرجع إلى موقفه الأول قبلة وجه رسول الله ﷺ، ويتوسل به في حق نفسه، ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى، ومن أحسن ما يقول ما حكاه الماوردي والقاضي أبو الطيب وسائر أصحابنا عن العتببي مستحسنين له، قال: كنت جالساً عند قبر رسول الله ﷺ، فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَبَّا رَحِيمًا» [النساء: ٦٤]، وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربِّي، ثم أنشأ يقول:

بَا خَيْرٍ مَنْ دُفِنَتْ بِالقَاعِ أَعْظَمُهُ

فَطَابَ مِنْ طَيِّبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ

(١٠٤) فتوى شمس الدين الرملاني ٣٨٢/٤.

نفسي الفداء لغير أنت ساكنه

فيه العفاف وفيه الجود والكرم^(١٠٥)

ثم انصرف، فحملتني عيناي، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبى، الحق الأعرا بي، فبشره بأن الله تعالى قد غفر له.

قال: ثم يتقدم إلى رأس القبر، فيقف بين الأسطوانة، ويستقبل القبلة، ويحمد الله تعالى، ويمجده، ويدعو لنفسه بما شاء، ولوالديه، ومن شاء من أقاربه، ومشايخه، وإخوانه، وسائر المسلمين، ثم يرجع إلى الروضة، فيكثر فيها من الدعاء والصلوة، ويقف عند المنبر، ويدعو^(١٠٦).

- ٣ - نور الدين السمهودي: فإنه عقد باباً في كتابه الوفا، أسماه: (في توسل الزائر، وتشفعه به صل الله تعالى عليه وسلم إلى ربّه تعالى، واستقباله صل الله تعالى عليه وسلم في سلامه، وتتوسله، ودعائه). قال: أعلم أن الاستغاثة والتشفع بالنبي صل الله تعالى عليه وسلم، وبجاهه وبركاته إلى ربّه تعالى، من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، واقع في كل حال، قبل خلقه

(١٠٥) هذه القصة مشهورة جداً، ويعبر عنها بقصة العتبى، لا يكاد يخلو منها كتاب تفسير عند تعرضهم لقوله تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَفْسَدُهُمْ جَاهَدُوكُمْ فَأَسْتَغْفِرُوَاللهَ وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا»، ولا يكاد يخلو منها كتاب فقه أيضاً، خصوصاً عند تعرضهم لمبحث الحج والزيارة، وقد حسن التوسي على هذه الرواية، بل اعتبرها من أحسن ما ورد في الباب، ولذلك اعتمد عليها لبيان كيفية زيارة النبي ﷺ.

(١٠٦) المجمع شرح المذهب ٨/٢٧٥.

صلى الله تعالى عليه وسلم وبعد خلقه، في حياته الدنيوية، ومدة البرزخ، وعرصات القيامة... وقد يكون التوسل به بِاللهِ بطلب ذلك الأمر منه، بمعنى أنه بِاللهِ قادر على التسبب فيه بسؤاله وشفاعته إلى ربّه، فيعود إلى طلب دعائه وإن اختلفت العبارة. ومنه قول القائل له: أَسأَلُكَ مِرْافِقَتِكَ فِي الْجَنَّةِ -الحديث-، ولا يقصد منه إِلَّا كُونَهُ بِاللهِ سبباً وشافعاً^(١٠٧).

٤- تقي الدين الحصيني الدمشقي: ولعل كلامه من أقوى ما قيل في هذا الباب، فإنه شبّه المنكرين للتسل باليهود، بل هم أسوأ حالاً منهم، قال: ومن أنكر التوسل والتشفع به بعد موته، وأن حرمته زالت بموته، فقد أعلم الناس، ونادى على نفسه أنه أسوأ حالاً من اليهود الذين يتولّون به قبل بروزه إلى الوجود، وأن في قلبه نزعة هي أخبث النزعات^(١٠٨).

٥- شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (صاحب كتاب إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري)، قال: فإنه من توسل أيضاً، بل واستغاث برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما ذكر ذلك هو بنفسه، فإنه قال: وينبغي للزائر أن يكثر من الدعاء، والتضرع، والاستغاثة، والتشفع، والتسل به صلى الله عليه [وآله] وسلم، فجدير بمن استشفع به أن يشفعه الله تعالى فيه، وأعلم أن الاستغاثة هي طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث، فلا فرق بأن يعبر بالفظ الاستغاثة، أو التوسل، أو التشفع، أو

(١٠٧) الوفا / ٤ / ١٣٧١.

(١٠٨) دفع الشبه عن الرسول والرسالة: ١٣٧.

التوجّه؛ لأنّها من الجاه والوجاهة، ومعنى ذلك القدر والمتزلّة، وقد يتولّ بصاحب جاه إلى من هو أعلى منه، ثم إن كلاً من الاستغاثة، والتّوسل، والتشفع، والتّوجّه بالنبي ﷺ كما ذكره في تحقيق النّصرة ومصباح الظلام واقع في كل حال...»

ولقد كان حصل لي داء أعيما دواؤه الأطباء، وأقمت به سنتين، فاستغثت به ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة زادها الله شرفاً، ومن علّي بالعود في عافية بلا مخنة، فبینا أنا نائم إذ جاء رجل معه قرطاس يكتب فيه: هذا دواء لداء أحمد بن القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوى، ثم استيقظت، فلم أجده بي والله شيئاً مما كنت أجده، وحصل الشفاء ببركة النبي ﷺ^(١٠٩).

وهذا الذي فعله القسطلاني هو شرك أكبر مخرج من الملة عند السلفية، يوجب لصاحبه الخلود في النار كما تبين لنا من الفتاوی التي استفتثنا بها بحثنا، في حين أن الرجل إمام من أئمة الشافعية، ومن أبرز شرائح صحيح البخاري المشهود لهم بالعلم المعرفة، فإنما الله وإنما إليه راجعون.

المذهب الحنفي:

أما هذا المذهب فحدث ولا حرج، فجعل كتب علماء المذهب مشحونة بفتاوی التّوسل والاستغاثة بالنبي ﷺ، وبغيره من الأنبياء والمرسلين، والأولياء والصالحين!

أما ما يتعلق بالفتاوي فنجد كل الكتب الفقهية تقريرياً تعرّضت للتسلل والاستغاثة، إما في باب زيارة النبي ﷺ، أو في باب الاستسقاء، وسنكتفي بذكر مثالاً واحداً على ذلك:

قال الشرنبلاني في كتابه (مراقي الفلاح): (وينبغي ذلك) أي الاجتماع للاستسقاء بالمسجد النبوى (أيضاً لأهل مدينة النبي ﷺ)، وهذا أمر جلي؛ إذ لا يستغاث وتستنزل الرحمة في مديته المنورة وغير حضرته ومشاهدته في حادثة المسلمين، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾، وهو المشفع في المذنبين، فيتوسل إليه أصحابه، ويتوسل بالجميع إلى الله تعالى، فلا مانع من الاجتماع عند حضرته، وإيقاف الدواب بباب المسجد لشفاعته^(١١٠).

وهذا قول عجيب غريب، فإن الشرنبلاني يفتى بأننا إذا أردنا أن نتوسل بالنبي ﷺ، نتوجه إليه ب أصحابه، ثم نتوجه بهم إلى الله عز وجل!

أي أن هناك واسطتين بين العبد وربه، فيكون هذا الفعل بالتفكير التكفيري شركاً مركباً!

وكتب فقهاء الأحناف وعلمائهم ملوعة بالتسلل بالنبي والآل ﷺ، فلا تكاد تجد عالماً إلا وقد استفتح كتابه بالدعاء والتسلل!

فهذا الفقيه ابن عابدين الحنفي يقول في مقدمة كتابه: وإنني

(١١٠) مراقي الفلاح: ٢٠٤.

أسأله تعالى متوسلاً إليه بنبيه المكرم ﷺ، وبأهل طاعته من كل ذي مقام عليّ معظم، وبقدوتنا الإمام الأعظم، أن يسهل عليّ ذلك من إنعامه، ويعينني على إكماله وإتمامه، وأن يعفو عن زللي، ويقبل مني عملي، ويجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم^(١١١).

ويقول الحافظ العيني في شرحه ل الصحيح البخاري: فها نحن نشرع في المقصود، بعون الملك المعبود، ونسأله الإعانة على الاختمام، متوسلاً بالنبي خير الأنام، وأله وصحبه الكرام^(١١٢).

وقد نقل الشيخ محمد زاهد الكوثري الحنفي وكيل مشيخة الدولة العثمانية في عصره الكوثري الإجماع على مشروعية التوسل، فقال: وعلى التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتاً جرت الأمة طبقة فطبقة^(١١٣).

أما ما يردد بعضهم من أن أبي حنيفة قد كره الدعاء بهذا اللفظ: «اللهم اني أسألك بمعاقد العز من عرشك»، وهو دليل على إنكاره للتتوسل، فهذا استدلال ضعيف، وحال المستدل حال الغريق الذي يتثبت بالقشة، وذلك لعدة أمور:

أولاً: أن ما روي عن أبي حنيفة - إن صحيحة عنه - هو كراهة تنزيه، وليس كراهة نفس الفعل؛ لأن هذا القول يورث التشبيه، خصوصاً عند ضعاف النقوس، كما نصّ على ذلك الكاشاني في

(١١١) رد المحتار ٤/١.

(١١٢) عمدة القاري ١/٣٣.

(١١٣) مقالات الكوثري: ٤٥١.

(بدائع الصنائع)، حيث قال: ظاهر الرواية أن ظاهر هذا اللفظ يوهم التشبيه؛ لأن العرش خلق من خلائق الله تبارك وتعالى جل وعلا، فاستحال أن يكون عز الله تبارك وتعالى معقوداً به، وظاهر الخبر الذي هو في حد الآحاد إذا كان موهماً للتشبيه فالكاف عن العمل به أسلم^(١١٤).

ولا يخفى أن هذا اللفظ ورد في بعض الأحاديث^(١١٥)، فيجوز العمل به من باب التسامح في أدلة السنن إن كان سنه ضعيفاً عند أبي حنيفة أو غيره، خصوصاً أن الأمر يتعلق بدعاء، وأغلب الأدعية المأثورة غير مسندة.

ثم إن أبا يوسف القاضي تلميذ أبي حنيفة أفتى بجواز قراءة هذا الدعاء^(١١٦)، مما يجعلنا نرتاب من صحة ما تُسب إلى أبي حنيفة؛

(١١٤) بدائع الصنائع ٥/١٢٦.

(١١٥) أخرج الطبراني ٢٥/١٢ بسنده عن صفية ودحيبة ابنتا عليمة أن قيلة بنت محمرة كانت إذا أخذت حظها من المضجع بعد العتمة قالت: بسم الله، وأتوكل على الله، وضعت جنبي لربِّي، أستغفره لذنبي، حتى تقوطاً مراراً، ثم تقول: أعوذ بالله وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، وشر ما ينزل في الأرض، وشر ما يخرج منها، وشر فتن النهار وطوارق الليل، إلا طارقاً يطرق بغير، آمنت بالله، اعتصمت بالله، الحمد لله الذي استسلم لقدرته كل شيء، والحمد لله الذي ذلل لعزته كل شيء، والحمد لله الذي تواضع لعظمته كل شيء، والحمد لله الذي خضع لملكه كل شيء، اللهم إني أسألك بمعافد العز من عرشك، ومتنه الرحمة من كتابك... الحديث.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٢٥: رواه الطبراني، وإسناده حسن.

(١١٦) قال في بدائع الصنائع ٥/١٢٦: وروي عن أبي يوسف أنه لا يأس بذلك؛ لورود الحديث.

إذ عادة ما تكون فتاوى الأستاذ والتلميذ متوافقة.

أخيراً نقول: إن أبي حنيفة قد أفتى بجواز التعبد بالبغل والنعل، وجواز التوسل بهم إلى الله عز وجل، وثبت هذا القول عليه بالسند الصحيح الذي لا مغنى فيه^(١١٧)، فهل الذي يكره

(١١٧) قال الفسوسي في كتابه المعرفة والتاريخ ٣٦٨/١: حدثني علي بن عثمان بن نفيل، حدثنا أبو مسهر، حدثنا يحيى بن حزرة - وسعيد يسمع - : أن أبي حنيفة قال: لو أن رجلاً عبد هذه النعل يتقرب بها إلى الله لم أر بذلك بأساً!! وهذا السند صحيح، كل رواته من الثقات المتفق على وثاقتهم، وهم:

١ - يحيى بن حزرة بن واقد الحضرمي: ترجم له المزي في تهذيب الكمال ٢٧٩/٣١، وابن حجر في تهذيب التهذيب ١٧٦/١١، والذهبي في تاريخ الإسلام ٤٤٦/١٧، وقد وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم الرازى، والدارمى، وأبو داود، والنمسائى، والعجلى، وابن حجر.

٢ - عبد الأعلى بن مسهر بن عبد الأعلى: ترجم له المزي في تهذيب الكمال ١٦/٣٧٠، والذهبى في الكاشف في من له رواية ١٤٢/٢، وابن حجر في تهذيب الكمال ٩٠/٦، وقد وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو حاتم، والعجلى، وأبو داود، وابن حبان، والذهبى.

٣ - علي بن محمد بن عثمان بن سعيد التفيلي: تقرير التهذيب ٦٩٩/١، تاريخ الإسلام ٤٠٥/٢٠، وثق هذا الراوى: النمسائى، وابن حبان، وابن حجر.

٤ - يعقوب بن سفيان الفسوسي: صاحب الكتاب، هو أجل عند القوم من أن يوثق، فهو إمام عندهم في الحديث والرواية، وهو صاحب كتب ومصنفات. إذن فسند الخبر إلى أبي حنيفة صحيح، ولا توجد أي علة فيه، إضافة إلى هنا فإن محقق كتاب (تاريخ بغداد) الدكتور بشار عواد معروف قد اعترف بصحة السند إلى أبي حنيفة، مما يقطع دابر كل من حاول أن يطعن في هذا الخبر ونفيه عن أبي حنيفة.

التوسل بالعرش يمكن أن يحيى التوسل بل وعبادة البغل والنعل؟
إن هذا شيء عجائب!

المذهب الحنبلي:

يتنمي أغلب المتسبين إلى المدرسة السلفية لهذا المذهب، ويحاولون دائمًا أن يستمدوا الشرعية لأفكارهم وعقائدهم وفتواهـم من خلال نسبتها إلى الإمام أحمد بن حنبل وأتباعـهـ، حتى لا يقال عنـهم إنـهم فرقـةـ حـدـيـثـةـ، دـخـيـلـةـ، مـبـتـدـعـةـ فيـ الإـسـلـامـ.

→ ثم إنـ هذاـ الخبرـ لمـ يـتـفـرـدـ بـذـكـرـهـ صـاحـبـ كـتـابـ المـعـرـفـةـ وـالتـارـيخـ، بلـ أـورـدـهـ الخطـيـبـ الـبغـلـادـيـ فـيـ تـارـيخـ بـغـلـادـ ٣٦٩ـ /ـ ١٣ـ، وـذـكـرـهـ اـبـنـ الجـوزـيـ فـيـ كـتـابـ المـنـظـلـمـ فـيـ التـارـيخـ ٢٥ـ /ـ ٣ـ، وـابـنـ جـبـانـ فـيـ كـتـابـ الـمـجـرـوـحـينـ ٧٣ـ /ـ ٣ـ.
وـقـدـ حـاـوـلـ الـبعـضـ أـنـ يـعـلـمـ أـنـ خـبـرـ بـعـدـ ثـبـوتـ سـيـاعـ يـحـيـيـ بـنـ حـزـةـ مـنـ أـبـيـ حـنـيفـةـ، فـنـقـولـ رـدـاـ عـلـ هـذـ القـوـلـ:

ثـبـوتـ الـمـعـاـصـرـةـ كـافـ لـلـاطـمـتـنـاـنـ بـاتـصـالـ السـنـدـ، خـصـوصـاـ إـذـاـ كـانـ الرـاوـيـ مـنـ الشـفـاتـ وـمـنـ غـيرـ الـمـدـلـسـينـ كـمـاـ قـرـرـ ذـلـكـ مـسـلـمـ فـيـ مـقـدـمـةـ صـحـيـحـهـ ١ـ /ـ ٢٣ـ حـيـثـ قـالـ: وـهـذـاـ القـوـلـ يـرـحـكـ اللهـ فـيـ الطـعـنـ فـيـ الـأـسـانـيدـ فـوـلـ مـخـرـعـ مـسـتـحـدـتـ غـيرـ مـسـبـقـ صـاحـبـهـ إـلـيـهـ، وـلـ مـاسـعـدـ لـهـ مـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ عـلـيـهـ، وـذـلـكـ أـنـ القـوـلـ الشـائـعـ المـتـقـنـ عـلـيـهـ بـيـنـ أـهـلـ الـعـلـمـ بـالـأـخـبـارـ وـالـرـوـاـيـاتـ قـدـيـمـاـ وـحـدـيـثـاـ أـنـ كـلـ رـجـلـ ثـقـةـ روـىـ عـنـ مـثـلـهـ حـدـيـثـاـ وـجـاتـرـ مـكـنـ لـهـ لـقاـوـهـ وـالـسـيـاعـ مـنـهـ، لـكـونـهـاـ جـيـعاـ كـانـاـ فـيـ عـصـرـ وـاحـدـ وـإـنـ لـمـ يـأـتـ فـيـ خـبـرـ فـطـ أـنـهـاـ اـجـتـمـعـاـ وـلـ تـشـافـهـ بـكـلامـ، فـالـرـوـاـيـةـ ثـابـتـةـ، وـالـحـجـةـ بـهـ لـازـمـةـ، إـلـاـ أـنـ يـكـوـنـ هـنـاكـ دـلـالـةـ بـيـنـةـ أـنـ هـذـاـ الرـاوـيـ لـمـ يـلـقـ مـنـ روـىـ عـنـهـ، أـوـ لـمـ يـسـمـعـ مـنـهـ شـيـئـاـ، فـأـمـاـ وـالـأـمـرـ مـبـهـمـ عـلـىـ الـإـمـكـانـ الـذـيـ بـيـئـاـ فـسـرـنـاـ، فـالـرـوـاـيـةـ عـلـىـ السـيـاعـ أـبـدـاـ حـتـىـ تـكـوـنـ الدـلـالـةـ الـتـيـ بـيـئـاـ وـيـحـيـيـ بـنـ حـزـةـ لـمـ يـنـفـرـدـ بـنـقـلـ الـخـبـرـ، فـقـدـ رـوـاهـ أـيـضاـ سـعـيدـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ كـاـ نـقـلـ ذـلـكـ اـبـنـ جـبـانـ فـيـ الـمـجـرـوـحـينـ كـمـاـ ذـكـرـنـاـ سـابـقاـ.

إلا أن مثل هذه الادعاءات لم تنفعهم في شيء؛ لأن المتتبع لتاريخ المذهب الحنفي لا يجد من وافقهم في إنكار التوسل، بل بالعكس نجد أن غالبية أقطاب المذهب وافقوا بقية المسلمين، فأفتووا بجواز التوسل والاستغاثة!

فهذا إمام المذهب أحمد بن حنبل قد أجاز ما أنكره السلفيون باعتراف الألباني، بل وابن تيمية!

قال الألباني في كتابه التوسل: وأما ما عدا هذه الأنواع من التوسلات ففيه خلاف، والذي نعتقد وندين الله تعالى أنه غير جائز ولا مشروع؛ لأنه لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، وقد أنكره العلماء المحققون في العصور الإسلامية المتعاقبة، مع أنه قد قال بعضه بعض الأئمة، فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده فقط، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين، ولكننا كشأننا في جميع الأمور الخلافية ندور مع الدليل حيث دار، ولا نتعصب^(١١٨).

أقول: تتبعنا كلام الألباني، ولم نجد هذه الموضوعية، بل وجدناه يتغىّب كثيراً تعصباً أعمى، ويميل إلى الباطل، ويتجاهلي عن كل الأدلة الشرعية الصحيحة!

وأما ابن تيمية فإنه قال في فتاويه: ولذلك قال أحمد في منسكه الذي كتبه للمرزوقي صاحبه: إنه يتوسل بالنبي ﷺ في دعائه^(١١٩).

(١١٨) التوسل: ٤٣.

(١١٩) الفتوى الكبرى ٣٥٢/١.

وهنا نتساءل: هل الإمام أحمد الذي أقرَّ بأنه يتولّ بالنبي ﷺ بعد موته مشرك بنظر السلفيين؟

هذا ما ينبغي لهم أن يجيبوا عليه إجابة واضحة!!

وأما كتاب الفقه المعتمد عند أتباع المذهب الحنفي، وهو كتاب (المغني) لابن قدامة، فإنه لم يخل هو أيضاً من الدعوة إلى التوسل بالنبي ﷺ.

قال ابن قدامة: ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ؛ لما روى الدارقطني بإسناده عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي، فكأنما زارني في حيالي»، وفي رواية: «من زار قبري وجنت له شفاعتي»، رواه باللفظ الأول سعيد، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر. وقال أحمد في رواية عبد الله، عن يزيد بن قسيط، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «ما من أحد يسلم علىَّ عند قبري إلا ردَّ الله علىَّ روحِي، حتى أردَّ عليه السلام». وإذا حجَّ الذي لم يحجْ قط يعني من غير طريق الشام لا يأخذ على طريق المدينة؛ لأنَّ أخاف أن يحدث به حادث، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق، ولا يتشغل بغيره، ويروى عن العتبني قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾، وقد جئتكم مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربِّي، ثم أنساً يقول:

يا خير من دُفنت بالقَاعِ أَعْظَمُه
 فطابَ مِنْ طَيْبِهِنَّ الْقَاعُ وَالْأَكْمُ
 نَفْسِي الْفِدَاءُ لَقَبِيرٍ أَنْتَ سَاكِنُه
 فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجَوْدُ وَالْكَرْمُ

ثم انصرف الأعرابي، فحملتني عيني، فنمت، فرأيت النبي ﷺ في النوم، فقال: يا عتبى الحق الأعرابي، فبشره أن الله قد غفر له. ويستحب لمن دخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى، ثم يقول: «بسم الله والصلوة على رسول الله، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، واغفر لي، وافتح لي أبواب رحمتك». وإذا خرج قال مثل ذلك، وقال: «وافتح لي أبواب فضلك»؛ لما روي عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي الله عنها، أن رسول الله ﷺ علمها أن تقول ذلك إذا دخلت المسجد. ثم تأتي القبر، فتولي ظهرك القبلة، وتستقبل وسطه، وتقول: السلام عليك أيمان النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا نبي الله وخيرته من خلقه،أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وعبدت الله حتى أتاك اليقين، فصلى الله عليك كثيراً كما يحب ربنا ويرضى، اللهم اجز عنا نبينا أفضل ما جزيت أحداً من النبيين والمرسلين، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم،

إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وأل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوكَ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾، وقد أتيتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربِّي، فأسألك يا ربِّي توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم اجعله أول الشافعين، وأنجح السائرين، وأكرم الآخرين والأولين، برحمتك يا أرحم الراحمين^(١٢٠).

بعد هذه الجولة في فتاوى أتباع المذاهب الإسلامية الأربع المشهورة، يتبيّن للقارئ العزيز أن التوسل برسول الله ﷺ بعد موته، جائز، بل مستحب.

وبعد هذا نسأل: أين فقه السلفيين من كل ذلك؟

وما هو مصدره؟

وهل هو منقول عن السلف؟ أو هو فقه مستحدث؟

نختم الكلام بتنبيه القارئ العزيز إلى أن السلفيين أنفسهم لم يتّفقوا على تحريم التوسل بالأموات، بل اختلفوا فيه، وإليك ما قاله ثلاثة من كبار العلماء الذين هم إما من السلفية أو يُنسبون إليهم.

١ - الحافظ ابن الجوزي: شيخ الحنابلة في عصره، حيث عقد

في كتاب الوفا بباباً كاملاً، أسماء: في الاستسقاء بقبره ﷺ!^(١٢١).

بل إن ابن الجوزي ذكر في كتابه (التبصرة) أنه قد توسل صراحة بنبي الله إبراهيم عليه السلام، وبنبئنا محمد عليهما السلام، وبالمخلصين من هذه الأمة، فقال: اللهم إنا نتوسل إليك بالخليل في منزلته، والحبيب في رتبته، وكل مخلص في طاعته، أن تغفر لكل منازلته يا كريم^(١٢٢).

٢ - محمد بن علي الشوكاني: هو فقيه مجتهد، لا يرى تقليد المذاهب، بل يعمل باجتهاده، قد أفتى وحث على التوسل، فقال: ويتوسل إلى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين، أقول: ومن التوسل بالأنبياء ما أخرجه الترمذى، وقال: «حسن صحيح غريب»، والنمسائى، وابن ماجة، وابن خزيمة في صحيحه، والحاكم، وقال: «صحيح على شرط البخارى ومسلم»، من حديث عثمان بن حنيف رض، أن أعمى أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصرى ... الخ^(١٢٣).

قال الشوكاني: وفي الحديث دليل على جواز التوسل برسول الله صل إلى الله عز وجل، مع اعتقاد أن الفاعل هو الله سبحانه وتعالى، وأنه المعطى المانع، ما شاء كان، وما يشاء لم يكن^(١٢٤).

(١٢١) الوفا بأحوال المصطفى: ٤٦٩.

(١٢٢) التبصرة ١/١٠١.

(١٢٣) تحفة الذاكرين: ٦٠.

(١٢٤) تحفة الذاكرين: ٢٠٨.

٣- محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: ترجم له الزركلي في أعلامه ونعته بالسلفي^(١٢٥)، قال في تفسيره: وبعد هذا كله أنا لا أرى بأساساً في التوسل إلى الله تعالى بجاه النبي ﷺ عند الله تعالى حياً وميتاً، ويراد من الجاه معنى يرجع إلى صفة من صفاتة تعالى، مثل أن يراد به المحبة التامة المستدعاة عدم رده، وقبول شفاعته، فيكون معنى قول القائل: إلهي أتوسل بجاه نبيك ﷺ أن تقضي لي حاجتي: إلهي اجعل محبتك له وسيلة في قضاء حاجتي، ولا فرق بين هذا وقولك: إلهي أتوسل برحمتك أن تفعل كذا، إذ معناه أيضاً إلهي اجعل رحمتك وسيلة في فعل كذا، بل لا أرى بأساساً أيضاً بالإقسام على الله تعالى بجاهه ﷺ بهذا المعنى^(١٢٦).

والنتيجة أن كل فقهاء المذاهب الأربع الفقهية المشهورة يحizون التوسل، ويهارسونه، بل ويحثون الناس عليه، بخلاف أتباع ابن تيمية فإنهم يحرّمونه، ويمنعون الناس من فعله، بل ويكررونهم عليه!

.١٧٦) الأعلام /٧ (١٢٥).

.١٨٧) روح المعانى /٤ (١٢٦).

محاولات التحرير

قد تكون هذه الحقائق صعبة على البعض، خصوصاً الذين أخذوا قناعاتهم من ابن تيمية ومن محمد بن عبد الوهاب، فحاولوا بكل الوسائل التلاعب بالكتب وبالروايات اخفاء هذه الحقائق، وطمساً للأدلة الصحيحة التي تقطع دابر كل معاند للحق!

وسأكتفي بذكر مثالين اثنين لهذا التلاعب.

١- أخرج البخاري في كتابه (الأدب المفرد) في (باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله)، بسنده عن عبد الرحمن بن سعد، قال: خدرت رجل ابن عمر، فقال له رجل: اذكر أحب الناس إليك. فقال: يا محمد.

وطبعات هذا الكتاب التي تمت بإشراف السلفيين أسقط منها ياء النداء من «يا محمد»، فجاءت الكلمة: «محمد»، بخلاف الطبعات الأخرى التي طبعها غير السلفيين، فإنها طبعت غير محَّفة، بل بخلاف كل الكتب التي نقلت هذه الرواية عن الأدب المفرد كما ذكرنا آنفًا في تحقيقنا لهذا الأثر، حتى أدعى الشيخ سعد الشهراوي في ردّه على الأحباش أنه لا وجود لحرف النداء، فقال: قول ابن عمر : «محمد» بدون حرف النداء، وهذا هو المثبت في أوثق طبعات الأدب المفرد، والتي حقق أحدها الشيخ محمد فؤاد

عبد الباقي، والثانية التي حققها الشيخ فضل الله الجيلاني، وذكر في مقدمتها أنه راجع عدة مخطوطات ومطبوعات لتحرّي ضبط النص^(١٢٧).

كما أنهم بذلوا كل ما في وسعهم لنفي وجود حرف النداء، فقال صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في كتابه (هذه مفاهيمنا) ردًا على هذه الرواية: قول ابن عمر: «محمد» ، بدون حرف النداء، والشائع عند العرب كما سيأتي استعمال يا النداء في تذكر الحبيب؛ ليكون أكثر استحضاراً في ذهن الخادرة رجله، فتنطلق^(١٢٨).

٢ - قال محقق كتاب (طبقات المحدثين بأصفهان) في المقدمة: وذكر الذهبي عن أبي بكر بن علي أنه قال: كان ابن المقرئ - أبو بكر محمد بن إبراهيم بن علي الأصفهاني - يقول: كنت أنا والطبراني وأبو الشيخ بالمدينة المنورة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء، حضرتُ القبر، وشكوتُ إلى الله [كذا] الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس، إما أن يكون الرزق أو الموت، فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب عَلَوِي، ففتحنا له، فإذا معه غلامان يقتتين فيها شيء كثير، وقال: شَكُونْيَ إِلَى النَّبِيِّ^ﷺ؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم...^(١٢٩).

لكن عندما نرجع لأصل القصة عند الذهبي كما نقلها

(١٢٧) الرد على الأحباش: ٢٩٥.

(١٢٨) هذه مفاهيمنا: ٤٥.

(١٢٩) طبقات المحدثين بأصفهان، تحقيق عبد الغفور البلوشي ١ / ٧٠، طبعة دار الرسالة.

المصنف نجد أن كلمة «رسول» أسقطت فغيرت المعنى! فأصبحت الشكوى إلى الله عزّ وجلّ، وليس إلى رسول الله ﷺ!

قال الذهبي: عن أبي بكر بن أبي علي، قال: كان ابن المقرئ يقول: كنت أنا، والطبراني ، وأبو الشيخ بالمدينة، فضاق بنا الوقت، فواصلنا ذلك اليوم، فلما كان وقت العشاء حضرت القبر، وقلت: يا رسول الله الجوع، فقال لي الطبراني: اجلس، فلما أن يكون الرزق أو الموت. فقمت أنا وأبو الشيخ، فحضر الباب علوى، ففتحنا له، فإذا معه غلامان يقتين فيها شيء كثير، وقال: شكوني إلى النبي ﷺ؟ رأيته في النوم، فأمرني بحمل شيء إليكم^(١٣٠).

ومن خلال هذه الرواية يتبيّن أن الطبراني ومن كانا معه لم يدعوا الله مباشرة، وإنما توجّهوا إلى رسول الله ﷺ، واستغاثوا به لسد جوعهم!

ولا ندرى لم لا ينقل هؤلاء التراث بإمانة؟!

ولم يعشون بالأحاديث ويحرّفونها؟!

فهل يرون أنفسهم أو صياء على عقول الناس وعلى عقائدهم؟!

وهل يرون لأنفسهم الولاية على التراث الإسلامي، وأن لهم

(١٣٠) أخرج الذهبي هذه القصة في تذكرة الحفاظ ٩٧٤/٣، وفي سير أعلام النبلاء ٤٠١/١٦، وفي تاريخ الإسلام ٢٧/٣٩، ولم ينفرد بذكرها، بل سبقه الحافظ ابن الجوزي في كتاب الوفا، ص ٤٧٠، فانظر إلى الأمانة العلمية وما حدث من الجحود على الرواية، وكم لها من نظائر.

الحق في الجور عليه بحسب ما يريدون، حتى في المسائل التي أطبق على جوازها جميع المسلمين، ولم يخالف فيها إلا ابن تيمية وأتباعه من السلفيين، كالتوسل والاستشفاع وغيرهما؟

لذلك أوجه خطابي لشباب المسلمين المثقفين، فأقول لهم: لا تكتفوا بما هو مطبوع، فالقوم ليسوا بمستأمنين على ما عندهم، قارنوا بين الطبعات المختلفة وبين المخطوطات إن تمكنتم حتى تصلوا للحقيقة.

روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام في التوسل

في ختام هذا البحث أضع بين يدي القارئ الكريم بعض الروايات الصحيحة الواردة عن أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام، المشتملة على الحث على التوجّه بهم إلى الله، والتوسل بحقّهم عنده سبحانه.

منها: ما رواه الكليني في ثنا الكافي، قال: عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، ومحمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن صفوان، وابن أبي عمير، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: إذا دخلت المدينة فاغتسل قبل أن تدخلها، أو حين تدخلها، ثم تأتي قبر النبي عليه السلام، ثم تقوم فتسلم على رسول الله عليه السلام، ثم تقوم عند الأسطوانة المقدمة من جانب القبر الأيمن عند رأس القبر عند زاوية القبر، وأنت مستقبل القبلة، ومنكبك الأيسر إلى جانب القبر، ومنكبك الأيمن مما يلي المنبر، فإنه موضع رأس رسول الله عليه السلام، وتقول: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وأشهد أنك رسول الله، وأشهد أنك محمد بن عبد الله، وأشهد أنك قد بلغت رسالات ربك، ونصحت لأمتك، وجاهدت في سبيل الله، وعبدت الله [مخلصاً] حتى أتاك اليقين، بالحكمة والموعظة الحسنة، وأدَّيت الذي عليك من الحق، وأنك قد رؤفت بالمؤمنين، وغافلتهم

على الكافرين، فبلغ الله بك أفضل شرف محل المكرمين، الحمد لله الذي استنقذنا بك من الشرك والضلال، اللهم فاجعل صلواتك، وصلوات ملائكتك المقربين، وعبادك الصالحين، وأنبيائك المرسلين، وأهل السماوات والأرضين، ومن سبّح لك يا رب العالمين، من الأولين والآخرين، على محمد عبده، ورسولك، ونبيك، وأمينك، ونجيك، وحبسك، وصفيك، وخاصتك، وصفوتك، وخيرتك من خلقك، اللهم أعطه الدرجة والوسيلة من الجنة، وابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم إنك قلت: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَابًا رَّحِيمًا﴾، وإنني أتيت نبيك مستغفراً، تائباً من ذنبي، وإنني أتوجه بك إلى الله ربِّي وربِّك ليغفر لي ذنبي^(١٣١)، وإن كانت لك حاجة فاجعل قبر النبي ﷺ خلف كتفيك، واستقبل القبلة، وارفع يديك، واسأل حاجتك، فإنك أخرى أن تقضي إن شاء الله^(١٣٢).

وهذه الرواية صحّحها الشيخ المجلسي عليه السلام في مرآة العقول^(١٣٣)، والشيخ يوسف البحراني عليه السلام في الحدائق الناصرة^(١٣٤). وهي تعلّمنا آداب زيارة النبي الأكرم عليه السلام، وكيفية الدعاء عنده، والتوجّه به إلى الله عزّ وجلّ.

(١٣١) الكافي ٤ / ٥٥٠.

(١٣٢) مرآة العقول ٢٦٠١١٨.

(١٣٣) الحدائق الناصرة ٤٢٣١٧.

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق عليه السلام في أماليه، قال: حدثنا أبي عليه السلام، قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار، قال: حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران الأشعري، عن الحسن بن علي الكوفي، عن العباس بن عامر، عن أحمد بن رزق الغمثاني، عن يحيى بن أبي العلاء، عن جابر، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: إن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة. قال: ثم إنه سأله عز وجل بحق محمد وأهل بيته لمارحتني. قال: فأوحى الله جل جلاله إلى جبرئيل: أن اهبط إلى عبدي، فأخرجه. قال: يا رب، وكيف لي بالهبوط في النار؟ قال: إني قد أمرتها أن تكون عليك بردًا وسلامًا. قال: يا رب، فما علمي بموضعه؟ فقال عز وجل: إنه في جب من سجين. قال: فهبط في النار، فوجده وهو معقول على وجهه، فأخرجه، فقال عز وجل: يا عبدي، كم لبشت تناشدني في النار؟ قال: ما أحصيه يا رب. قال: أما وعزّي لولا ما سألتني به لأطلت هوانك في النار، ولكنه حتمت على نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا غفرت له ما كان بيني وبينه، وقد غفرت لك (١٣٤) اليوم.

أقول: سند هذه الرواية معتبر، وجابر المذكور هنا هو جابر بن يزيد الجعفي، وهو ثقة على المختار.

ومنها: الزيارة الجامعة التي رواها الشيخ الصدوق عليه السلام في (من لا يحضره الفقيه)، وفيها قوله عليه السلام: اللهم إني لو وجدت

شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار
لجعلتهم شفعائي، فبحقهم الذي أوجبَ لهم عليك أسائلك أن
تدخلني في جلة العارفين بهم وبحقهم، وفي زمرة المرحومين
^(١٣٥)
بشفاعتهم.

صَحَّ هذه الرواية العلامة المجلسي ^{متوفى} في البحار، قال:
إنما بسطت الكلام في شرح تلك الزيارة قليلاً وإن لم أستوف حقها
حدراً من الإطالة؛ لأنها أصح الزيارات سندًا، وأعمّها مورداً،
وأ Finchها لفظاً، وأبلغها معنىًّا، وأعلاها شأنًا^(١٣٦).

وقال السيد عبد الله شبر ^{متوفى}: لا يخفى على أولي البصائر
النادة، وأرباب الأذهان الواقدة، وذوي العقول السليمة،
وأصحاب الأفهام المستقيمة، أن الزيارة الجامعة الكبيرة أعظم
الزيارات شأنًا، وأعلاها مكانة ومكانًا، وأن فصاحة ألفاظها
وفقراتها وبلاغة مضامينها وعباراتها تنادي بصدرها من عين
صفافية نبعث عن (ينابيع الوحي) والإلهام، وتدعو إلى أنها خرجت
من ألسنة نواميس الدين ومعاقل الأنام، فإنها فوق كلام المخلوق
^(١٣٧).
ومنها: ما رواه الكليني في الكافي، قال: عن علي بن إبراهيم،
عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن معاوية بن عمار، عن

(١٣٥) من لا يحضره الفقيه ١/٣٩١.

(١٣٦) بحار الانوار ٩٩/٤٤.

(١٣٧) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة: ٣١.

أبي عبد الله عليه السلام، قال: شعارنا: «يا محمد، يا محمد» وشعارنا يوم بدر: «يا نصر الله اقترب اقترب»، وشعار المسلمين يوم أحد: «يا نصر الله اقترب»، ويوم بنى النضير: «يا روح القدس أرح»، ويوم بنى قينقاع: «يا ربنا لا يغلبناك»، ويوم الطائف: «يا رضوان»، وشعار يوم حنين: «يا بنى عبد الله، يا بنى عبد الله»، ويوم الأحزاب: «حم لا يصرون»، ويوم قريظة: «يا سلام أسلمهم»، ويوم المريسيع وهو يوم المصطلق: «الا إلى الله الأمر»، ويوم الحديبية: «الا لعنة الله على الظالمين»، ويوم خير يوم القموص: «يا علي آتهم من عل»، ويوم الفتح: «نحن عباد الله حقاً حقاً»، ويوم تبوك: «يا أحد، يا صمد»، ويوم بنى الملوح: «أمنت أمنت»، ويوم صفين: «يا نصر الله»، وشعار الحسين عليه السلام: «يا محمد»، وشعارنا: «يا محمد»^(١٣٨).

وهذه الرواية حسنها العلامة المجلسي في مرآة العقول^(١٣٩) قال: الحديث الأول حسن^(١٤٠).

وصححها الشيخ هادي النجفي في موسوعة أحاديث أهل البيت، قال: صحيحه الإسناد^(١٤١).

وهي واضحة الدلاله على اشتراها على عبارات الاستغاثة برسول الله عليه السلام، ومن ضمنها عبارة: يا محمد.

(١٣٨) الكافي ٤٧/٥.

(١٣٩) مرآة العقول ٣٨٥/١٨.

(١٤٠) موسوعة أحاديث أهل البيت ٢٧٠/٨.

خمسة في آذان السلفية

تبين مما سبق أن التوسل هي مسألة إجماعية بين أهل السنة والشيعة، ولم يخالف فيها إلا ابن تيمية الحراني في القرن الثامن الهجري، ولم يكن له سلف في ذلك، وقد أنكر التوسل والاستغاثة بناءً على فهم سقيم لظواهر آيات القرآن الكريم، انفرد به، وكفر به اتباعه بقية المسلمين !!

ولهذا نقول لإخواننا السلفية: إن فهمكم للقرآن الكريم غير ملزم لبقية المسلمين؛ لأنَّه ليس بالضرورة أن يكون هو الفهم الصحيح لكتاب الله، والتفسير قضية اجتهادية، وقد وقع الاختلاف فيها حتى بين كبار الصحابة، وكل واحد إما أن يكون كلامه صحيحاً يتحمل الخطأ، أو كلامه خطأ يتحمل الصواب، وكما نقل عن الإمام مالك بن أنس: كُلُّ يؤخذ منه ويردُّ إلا صاحب القبر مشيراً إلى النبي ﷺ.

كما أن تقسيم الأحاديث والحكم عليها بالصحة أو الضعف هو أيضاً قضية اجتهادية، وكل من أجاد هذا العلم وعرف هذه الصنعة يجوز له الاجتهد فيها، وهي ليست حكراً على طائفة معينة، أو على شخص مخصوص، وكذلك دراية الأحاديث النبوية وفهمها.

ولهذا فنحن نرجو من إخواننا الالتزام بهذه القواعد، وعدم الخروج عن الخطوط العريضة التي وضعها أهل هذا الفن، وعدم التسرع في تكفير الآخرين، والحكم عليه بالخروج من دائرة الإسلام، وعدم حصر الاجتهاد فيهم فقط، وأن يقبلوا الرأي المخالف، ويقارعوا آراء مخالفاتهم بالحجج، ويناقشوها نقاشاً علمياً، لا بالدرة والمهارشة، عملاً بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْمُحَسَّنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالْأَقِيمِ هِيَ أَحْسَنُ﴾.

نسأل الله تعالى أن يؤلف بين المسلمين، ويوحد صفوفهم، ويهديهم للحق الذي جاء به نبيّنا محمد ﷺ، إنه سميع قريب مجيب.

المصادر

القرآن الكريم.

(أ)

- ١ - الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري.
- ٢ - الأذكار النبوية: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي.
- ٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي.
- ٤ - الإصابة في معرفة الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٥ - الأعلام: خير الدين الزركلي.
- ٦ - الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية: أبو حفص عمر بن علي البزار.
- ٧ - افتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني.
- ٨ - الأمالي: الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق.
- ٩ - أمالي الأذكار في فضل صلاة التسبيح: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ١٠ - الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعية: السيد عبد الله

شبر.

(ب)

- ١١ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: الشيخ محمد باقر المجلسي.
- ١٢ - البحر الزخار المعروف بمسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو البزار.
- ١٣ - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاشاني الحنفي.
- ١٤ - البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.

(ت)

- ١٥ - تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي الحنفي.
- ١٦ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.
- ١٧ - التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل البخاري.
- ١٨ - التبصرة في الوعظ: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.
- ١٩ - تحفة الذاكرين بعدة الحصن الخصين: محمد بن علي اليماني الشوكاني.
- ٢٠ - التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

- ٢١ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف: زكي الدين عبد العظيم المنذري.
- ٢٢ - تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٢٣ - تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي.
- ٢٤ - تقريب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٢٥ - تلخيص المستدرك على الصحيحين: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.
- ٢٦ - تناقضات الألباني الواضحات فيها وقع له في تصحيح الأحاديث وتضعيفها من أخطاء وغلطات: السيد حسن بن علي السقاف.
- ٢٧ - تهذيب التهذيب: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني.
- ٢٨ - التوسل أنواعه وأحكامه: محمد ناصر الدين الألباني.

(ث)

- ٢٩ - الثقات: محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي.

(ج)

- ٣٠ - الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري.
- ٣١ - الجامع الصحيح: مسلم بن الحجاج النيسابوري.
- ٣٢ - الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.
- ٣٣ - الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم: شهاب الدين أحمد بن

محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي.

(ح)

٣٤ - حاشية الصاوي على الشرح الصغير: أحمد بن محمد الصاوي المالكي.

٣٥ - الخدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة: الشيخ يوسف البحرياني.

(د)

٣٦ - الدرر السننية في الرد على الوهابية: أحمد زيني دحلان المكي.

٣٧ - الدعاء: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

٣٨ - دفع الشبه عن الرسول والرسالة: أبو بكر محمد بن عبد المؤمن الحصني الدمشقي.

٣٩ - دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: أحمد بن الحسين البهقي.

(ذ)

٤٠ - ذكر أسماء من تكلم فيه وهو موثق: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(ر)

٤١ - رد المحتار على الدر المختار: محمد أمين بن عمر عابدين

الخفي.

- ٤٢ - الروح: شمس الدين محمد بن أبي بكر الدرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.
- ٤٣ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود شكري الآلوسي.
- ٤٤ - رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين: أبو زكريا يحيى بن شرف التنوبي الدمشقي.

(س)

- ٤٥ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني.
- ٤٦ - سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: محمد ناصر الدين الألباني.
- ٤٧ - السنن: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.
- ٤٨ - السنن: محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجة.

(ش)

- ٤٩ - شرح الزرقاني على المawahب اللدنية للقسطلاني: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني.
- ٥٠ - شرح الزرقاني لموطأ الإمام مالك: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني.
- ٥١ - شفاء السقام في زيارة خير الأنام: القاضي علي بن عبد الكافي

الشافعي السبكي.

٥٢ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى: القاضي عياض بن موسى
اليحصبي.

(ص)

٥٣ - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد
الجوهري.

(ط)

٥٤ - طبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي.

٥٥ - طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب بن علي بن عبد
الكافي السبكي.

٥٦ - طبقات المحدثين بأصفهان: عبد الله بن حبان المعروف بأبي
الشيخ.

٥٧ - طرح التثريب في شرح التقريب: زين الدين عبد الرحيم بن
الحسين العراقي.

(ع)

٥٨ - عمدة القاري في شرح البخاري: بدر الدين محمود بن أحمد
العيني.

٥٩ - عمل اليوم والليلة: أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن
الستي.

(غ)

٦٠ - غريب الحديث: إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم البغدادي
الخري.

(ف)

٦١ - فتاوى الرملي: شمس الدين محمد بن أحمد بن حنزة الرملي
الشافعى.

٦٢ - الفتاوى الكبرى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
الحرانى.

٦٣ - فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: هيئة كبار
العلماء في المملكة العربية السعودية.

٦٤ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن
حجر العسقلاني.

٦٥ - فرقة الأحباش: نشأتها، عقائدتها، آثارها: سعد بن علي الشمراني.

(ق)

٦٦ - القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع: شمس الدين
محمد بن عبد الرحمن السخاوي.

(ك)

٦٧ - الكاشف في من له رواية في الكتب الستة: شمس الدين أبو

عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي الدمشقي.

٦٨ - الكافي: ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني الرازى.
الكلم الطيب: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية
الحرانى.

٦٩ - الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي الجرجاني.

٧٠ - كفاية الطالب الليثي في خصائص الحبيب (المعروف
بـالخصائص الكبرى): جلال الدين السيوطي.

٧١ - الكفاية في علم الرواية: أحمد بن علي بن ثابت المعروف
بالخطيب البغدادي.

٧٢ - كيف نفهم التوحيد؟ محمد باشميل.

(م)

٧٣ - مجمع الزوائد و منهاج الفوائد: نور الدين علي بن أبي بكر
الهيثمي.

٧٤ - المجموع في شرح المذهب: محيي الدين أبو زكريا يحيى بن
شرف النورى الدمشقى.

٧٥ - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: شمس
الدين محمد بن أبي بكر الدرعى الدمشقى المعروف بابن قيم
الجوزية.

٧٦ - المدخل في الفقه المالكي: محمد بن أحمد بن خلف بن إبراهيم
بن لب التجيبي القرطبي المالكي المعروف بابن الحاج.

٧٧ - مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول: الشيخ محمد باقر

- المجلسى.
- ٧٨- مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح: حسن بن عمار الشرنبلالى.
- ٧٩- المستدرك على الصحيحين: الحاكم محمد بن عبد الله النسابوري.
- ٨٠- المسند: أحمد بن علي بن المثنى الموصلى المعروف بأبي يعلى.
- ٨١- مستد أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى.
- ٨٢- مشاهير علماء الأمصار: أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي.
- ٨٣- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز البوصيري.
- ٨٤- مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام: محمد بن موسى بن النعean التلمسانى.
- ٨٥- المصنف في الأحاديث والآثار: عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.
- ٨٦- المعجم الصغير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
- ٨٧- المعجم الكبير: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.
- ٨٨- المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان الفسوسي.
- ٨٩- المغنى: عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي.
- ٩٠- المغنى عن حل الأسفار في الأسفار في تحرير ما في الإحياء من أخبار: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي.
- ٩١- مقالات الكوثري: محمد زاهد بن حسن الكوثري.

وابتغوا إليه الوسيلة ..

- ٩٢ - مناهل الصفا في تحرير أحاديث الشفاء: جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
- ٩٣ - من لا يحضره الفقيه: الشيخ محمد بن علي بن الحسين الصدوق.
- ٩٤ - المواهب اللدنية بالمنج المحمدية: شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني.
- ٩٥ - موسوعة أحاديث أهل البيت: محمد هادي النجفي.
- ٩٦ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

(ن)

- ٩٧ - النكت على مقدمة ابن الصلاح: بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي.
- ٩٨ - نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال: عبد الله بن صديق الغماري.
- (ه)
- ٩٩ - هذه مقاهمينا: صالح آل الشيخ.

(و)

- ١٠٠ - الوابل الصيب من الكلم الطيب: شمس الدين محمد بن أبي بكر الدرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية.
- ١٠١ - الواقي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي.

المصادر

١٠٧

١٠٢ - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: نور الدين علي بن عبد الله
السمهودي.

١٠٣ - الوفا بتعريف فضائل المصطفى: أبو الفرج عبد الرحمن بن
الجوزي.

